تاريخ الأُمَمِيَّة

مساهمات من المؤتمر الأمميّ الأوَّل في روج آفا ٢٠٢٢

إعداد الأكاديمية الشهيد ليكرين جيا الأممية
نشرت من قبل أكاديمية الحداثة الديمقراطية

This brochure is online:
https://democraticmodernity.com/

تاريخ الأُمَمِيَّة

مساهمات من المؤتمر الأمميّ الأوَّل في روج آفا، ٢٠٢٢

نُشر في مارس ٢٠٢٦

حرّر في أكاديميَّة الشهيد ليكرين جيا الأُمَمِيَّة

تمَّ النَّشر والتَّصميم في أكاديميَّة الحداثة الدّيمقراطيَّة

http://democraticmodernity.com

البريد الإلكتروني: info@democraticmodernity

إنستغرام: academy_of_democraticmodernity

تيليغرام: t.me/AcademyDemocraticModernity

X: Democratic_Mode

إذا كنت تستطيع المساعدة في ترجمة هذا الكتيّب إلى لغة أخرى، يُرجى التَّواصل معنا!

المحتوى

مقدّمة..... ٤

١- ما هي الأُمَمِيَّة؟..... ٧

٢- التَّجارب التَّاريخيّة للأمميّات الثَّلاث..... ١٣

٣- الاتّحاد السُّوفييتيّ، الاشتراكيّة المشيّدة، والتَّضامن الدّوليّ (بعد عام ١٩٤٥) ٢١

٤ - الثَّورة الإسبانيَّة..... ٣١

٥- الثَّورة الكوبيَّة ومؤتمر القارَّات الثَّلاث..... ٤١

٦- النِّضالات المناهضة للاستعمار..... ٥٣

٧- حركة ١٩٦٨..... ٦٣

٨- نظرة مستقبليَّة: الكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة - منظور الأُمَمِيَّة وتحرير المرأة في القرن الحادي والعشرين..... ٧٢

حول أكاديميَّة الحداثة الدّيمقراطيَّة..... ٧٨

مقدّمة:

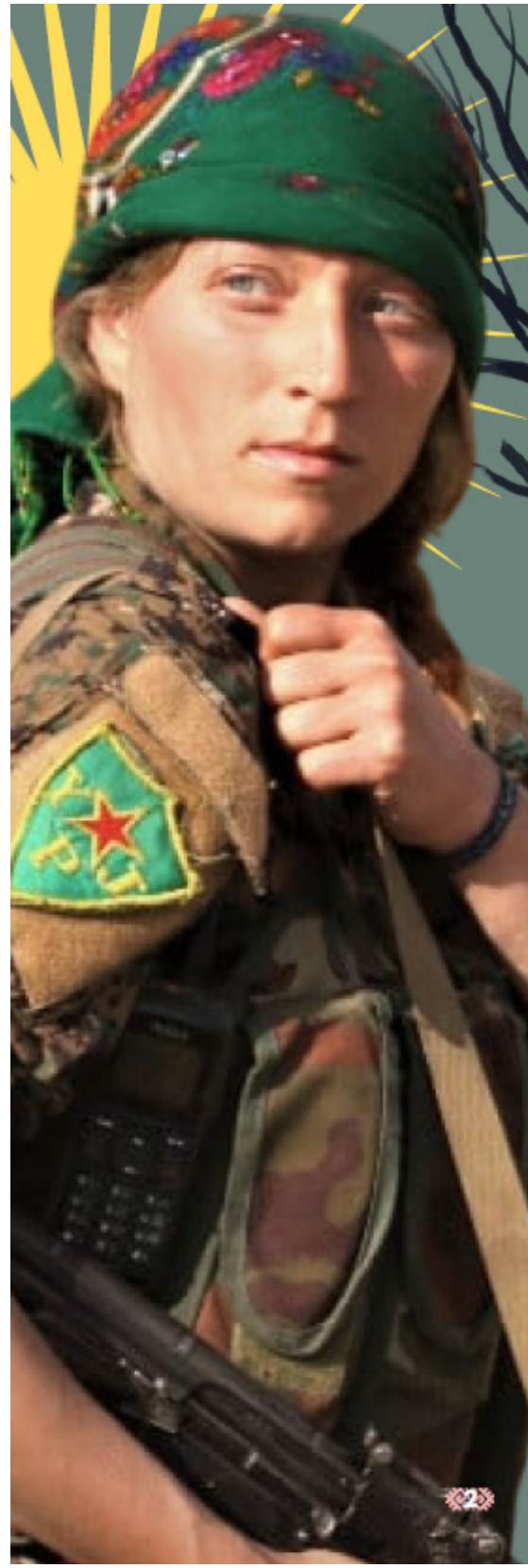

يعتبر هذا الكتيّب تجميع للمساهمات من المؤتمر الأمميّ الأوّل لروج آفا (شمال وشرق سوريا) عام ٢٠٢٢، والّذي خُصِّص لعبد الله أوجلان، ولذكرى شهداء الأُمَمِيَّة الّذين استشهدوا في النِّضال من أجل حياة حرَّة كريمة. وخلال هذا المؤتمر الّذي استمرَّ لعدّة أيَّام عُقدت ندوات حول تاريخ الأُمَمِيَّة في جميع أنحاء العالم، وقد لخّصت هذه النَّدوات في هذا الكتيّب لجميع الأمميّين السَّاعين إلى الحرّيَّة.

وتُقدّم هذه المحاضرات نظرةً شاملة لتسليط الضّوء على مراحل مختلفة من الأُمَمِيَّة، بدءاً من التَّجارب التَّاريخيّة للأمميّات الثَّلاث، وصولاً إلى النِّضالات المناهضة للاستعمار، والثَّورة الإسبانيَّة، وحركة ١٩٦٨، والكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة كأفقٍ للأمميّة، وتحرير المرأة في القرن الحادي والعشرين. ولقد شهد القرن العشرون العديد من هذه النِّضالات الّتي كان لها تأثيرها على المقاومة، والثَّورات في القرن الحادي والعشرين، والّتي نسير اليوم جميعاً على خطاها، ونقتفي أثرها.

وما يزال ذلك الزّمن يمنحنا الأمل بأنّ الثَّورة ستأتي في أيّ لحظة، ويزوّدنا بالطّاقة، وسبل، ووسائل تنظيم الجماهير لتنفيذ ثورة عالميّة ضدّ النِّظام الرَّأسماليّ الأبويّ. وبالرّغم من أنّ هذا الأمل يتعرَّض لهجمات متكرّرة من قبل القوى المُهيمنة الحاكمة؛ إلا أنَّ تجربة خمسين عاماً من نضال حركة حرّيَّة كردستان، وأكثر من عشر سنوات من الثَّورة في شمال وشرق سوريا ما تزال مصدر إلهام، وأمل عظيمين في جميع أنحاء العالم.

وإنَّنا نعيش في أوقات تاريخيَّة، وينبغي أن نكون على يقين، وعلمٍ بدورنا، ومسؤوليَّتنا على أكمل وجه، إذ يقع على عاتقنا نشر شرارات هذه الثَّورة، وإشعالها لتصبح ناراً، ونوراً تضيء الدَّرب.

وتتمثَّل نقطة البداية المهمّة في النَّظر إلى التَّاريخ، والبناء عليه. لقد بدأ السيد عبد الله أوجلان عهداً جديداً مع دعوته إلى «السَّلام، والمجتمع الديمقراطيّ» في فبراير ٢٠٢٥، وكان الهدف فهم أخطاء الاشتراكيّة بشكل أعمق، وأدق، وبناء حداثة ديمقراطيّة في إطار الأُمَمِيَّة، حيث حلّل في كتاباته الدِّفاعيَّة الّتي كتبها في جزيرة إمرالي السّجنيّة تاريخ الإنسانيَّة، والحضارة الدّيمقراطيَّة، فاتحاً بذلك آفاقاً جديدة. وقد أشار عبد الله أوجلان منذ البداية إلى حركات التَّحرُّر الوطنيّ، والثَّورات حول العالم، مستخدماً إيّاها كأساس. ولم تكن تجارب اليسار في تركيا بأقلّ أهمّيَّة من غيرها؛ إذ مهَّدت الطَّريق للتَّنظيم، وأدّت إلى تشكيل حركة أمميّة منذ البداية. وانتقد في تحليلاته أيضاً أخطاء، وسلبيّات القوى المناهضة للنِّظام، والّتي لم تتمكّن من تحرير نفسها من جهاز سلطة الدّولة؛ حيث ركّزت إحدى انتقاداته الرّئيسيّة على أنّ تحرير المرأة يجب أن يكون في صميم النِّضالات الاشتراكيّة. فكتب في رسالته إلى جميع النّساء في جميع أنحاء العالم بتاريخ ٨ مارس ٢٠٢٥:

«طالما لم تتحطَّم الثَّقافة الأبويّة المتجذّرة بعمق في مجتمعنا الجديد - كما تثبت الماركسيَّة أيضاً - سيظلُّ نجاح الاشتراكيّة مستحيلاً. وإنّ الطَّريق إلى الاشتراكيّة يمرّ عبر تحرير المرأة. فمن دون حرّيَّة المرأة، لا توجد اشتراكيّة حقيقيّة، ولا شعب اشتراكيّ، ومن دون الدّيمقراطيَّة، لا يمكن سلوك هذا الطَّريق.»

وللبناء على هذا التَّاريخ الدّيمقراطيّ، وانتقادات السيد عبد الله أوجلان، فإنّه يقع على عاتقنا الآن قراءة تاريخ الأُمَمِيَّة، ومناقشته، والنِّضال معاً ليعود اليوم الأمل بالحرّيَّة حيّاً من جديد في كردستان، في قلب الشّرق الأوسط، وفي أرض بلاد ما بين النَّهرين، ، وسيجد تمثيله من حيث الأفكار، والفلسفة، والإيديولوجيا، والرّوحانيّة في ثورة عظيمة؛ إذ يتميّز الطّابع الأمميّ للنّضال في كردستان كالآتي: أيّاً كان ما يحدث في كردستان، فسيكون له تأثير كبير على الشّرق الأوسط، وإنّ ما يحدث في الشّرق الأوسط سيكون له تأثير كبير على العالم أجمع. وبعبارة

أخرى: سيخلق نجاح ثورة كردستان فرصاً عظيمة لشرق أوسط ديمقراطيّ، ومن هناك سيكون ردّاً ومثالاً للعالم أجمع، وللشُّعوب المضطهدة، والمرأة، والشّباب الّذين يبحثون عن الحرّيَّة. يمكننا أن نخلق حياة قائمة على القيم الاشتراكيّة، والنِّضال من أجل حياة حرَّة بعيدة عن الدّولة، والسُّلطة، والعنف. إنّ أمل بناء بديل حقيقيّ، وسلوك طريقة تفكير مختلفة، تعتمد على فلسفة السيد عبد الله أوجلان.

اللجنة التَّحضيريّة للمؤتمر الأمميّ الأوّل في روج آفا، ديسمبر ٢٠٢٥

١- ما هي الأُمَمِيَّة؟

الأُمَمِيَّة في روج آفا:

إنّنا نشعر بالرّوح الأُمَمِيَّة الّتي تُغذي هذه الثورة، ثورة روجافا من خلال وجودنا هنا اليوم. فما الدُّروس الّتي يُمكننا استخلاصها من هذا التَّاريخ؟ وما الجوانب الّتي تُعطينا القوَّة؟ وما الأجزاء الّتي تتطلّب إعادة تقييم بسبب المآسي الماضية؟ يُعدّ تحليل إنجازاتنا وأخطائنا أمراً ضروريّاً في كردستان، فهذه ليست المحادثة الوحيدة حول الأُمَمِيَّة، فمنذ ظهور حزب العمَّال الكردستانيّ (PKK) في السّبعينيَّات وحتَّى التّسعينيات، تمّت مناقشة موضوع الأُمَمِيَّة والثَّورات في جميع أنحاء العالم – كما في ثورة أكتوبر، والنِّضالات المناهضة للاستعمار، والحركات المناهضة للفاشيَّة - على نطاق واسع داخل الحركة. ألهمت هذه الحركات الثَّورة في كردستان، فكانت المناقشات حول النِّضال العالميّ من أجل العدالة جزءاً لا يتجزّأ من تعليمنا وبحوثنا وتبادلاتنا.

نعيش هنا روح الأُمَمِيَّة في مكانٍ طغت عليه الحروب والثَّورات. وإنّ وجودنا القادم من أماكن مختلفة حول العالم هو بحدّ ذاته نضالٌ أمميّ، وشهادة على تاريخ التَّضامن الدّوليّ، ولهذا السَّبب، فإنّ الدُّروس الّتي يمكننا استخلاصها من نضال كردستان غنيّة بما يكفي لمساعدتنا على فهم موقفنا وكيفيَّة المضي قدماً. وفي النِّهاية، تقدِّم هذه النَّدوات القادمة على مدار اليومين المقبلين لمحة عن بعض محاور النّقاش داخل الحركة – من خلال محادثات بين الرِّفاق من جميع أنحاء العالم وعبر مختلف مجالات العمل حول الأهمّيَّة الدّائمة للأمميّة.

طرحنا مراراً على مدار سنوات العمل الأمميّ في روج آفا، السُّؤال التَّالي: «ما هو شعورك، أو رأيك عندما تسمع بكلمة الأُمَمِيَّة؟» يعكس تنوّع الرّدود خلفيّاتنا المتنوّعة - الثَّقافيّة والاقتصاديّة والإيديولوجيّة، ولكنَّه يؤكّد أيضاً على الوحدة في التنوّع الّتي تمثلها الأُمَمِيَّة. لا ينبغي أنْ تفرّقنا الاختلافات في وجهات النَّظر؛ بل ينبغي أنْ تشكّل هذه الوجهات أساس نضالنا المشترك ضدّ الظُّلم المشترك. هدفنا هو إرساء فهم مشترك لما نناضل من أجله.

في هذه المناقشات ثمّة موضوع متكرّر يتمثَّل في دور التَّعاطف - قدرتنا على التّواصل مع بعضنا البعض وفهم بعضنا البعض - باعتباره أمراً أساسيّاً للأمميّة. يساعد هذا النَّهج المتعاطف على هدم الجدران الّتي تفرّقنا، ممّا يعزّز التَّضامن. إنّها ليست مجرَّد مسألة سياسيَّة، أو استراتيجيّة؛ فهي تتعلّق بالشّعور العميق تجاه أولئك الّذين بجوارنا. يعزّز هذا الشّعور بالعلاقة الرّفاقيّة والنِّضال الثَّوريّ، ممّا يجعله أكثر من مجرَّد إيديولوجيّة مشتركة، بل هدفاً وشعوراً مشتركين.

يُثير التَّضامن الدّوليّ بطبيعته آراءً متنوّعة. ما الّذي ينطوي عليه الدَّعم؟ ومتى وأين ينبغي أنْ تحدث المشاركة في النِّضالات الدُّوليَّة؟ وهل

يعني التَّضامن الانضمام إلى نضالات تتجاوز منطقة الفرد، أم التَّركيز على التَّغيير محلّيّاً؟ وهل ينبغي لنا المساهمة حيث تشتدّ الحاجة إليها، أم تنحصر مشاركتنا فقط داخل حدودنا؟ هذه أسئلة مستمرّة، لكنَّها في جوهرها تُسلِّط الضَّوء على الحاجة إلى أمميّة لا تُكرّر القمع بل تسعى إلى تفكيكه. هدفنا هو وحدة وفيّة لمبادئها الثَّوريّة ومُرتكزة على تضامن حقيقيّ ونضال مُشترك.

هذه أسئلة أساسيَّة يجب مراعاتها عند مناقشة الأُمَمِيَّة. فمن السَّهل جعل هذا الموضوع مُعقّداً فكريّاً، بل وحتَّى أكاديميّاً، إلى درجة يصبح فيها غير قابل للفهم.

إنّ ما نحتاج إلى الشّعور به وفعله واضح. فقد نختلف في أسباب وجودنا هنا، لكنَّنا متّحدون في هدف مشترك: الدِّفاع عن الثَّورة في كردستان، والتّعلّم منها، وحمل روحها -أبعادها المتعدّدة- عبر العالم، سواء إلى الشّرق الأوسط، أو أبيا يالا أو أوروبَّا أو أي مكانٍ آخر، ونسعى إلى تعزيز وحدتنا، وفعاليّتنا مع الحركات المناضلة الأخرى في جميع أنحاء العالم لتحدّي الحداثة الرَّأسماليّة وتغييرها، ومواجهة أعداء الإنسانيَّة في نهاية المطاف.

تاريخ الأُمَمِيَّة وإرثها: الطَّريق الّذي نسير عليه:

إنّ الأُمَمِيَّة الّتي، على الرّغم من أنّنا نشعر بها غالباً كعاطفة قويّة تُعبّر عنها تفاعلاتنا، إلّا أنّها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأفعال الّتي نقوم بها يوميّاً. ومع ذلك، لا يمكن تحقيقها بالكامل دون استراتيجيّة ثوريّة منظَّمة ومنسّقة لمواجهة النِّظام الرَّأسماليّ المهيمن؛ لذا يجب علينا تطوير المرونة والقوَّة للوقوف في وجه مشهد عالميّ تسيطر عليه قوى إمبرياليّة تتّخذ قرارات تؤثّر على النّاس في جميع أنحاء العالم، حيث تسيطر هذه القوى على التّقنيات والجيوش والثّروات، بينما يعاني النَّاس في جميع أنحاء العالم من الفقر، والجوع، والقمع. إنّ وجودنا دون تنظيم، يجعلنا ضعفاء في وجه القوى الّتي تضطهدنا بشكل منهجيّ؛ لذلك تتطلّب الأُمَمِيَّة مواجهة واقعنا المشترك، وتمكين أنفسنا من المقاومة - ليس فقط من أجل البقاء، ولكن لتحقيق النّصر، وتفكيك أنظمة الأبويّة والرَّأسماليّة والفاشيَّة.

ظهر مفهوم الأُمَمِيَّة عبر التَّاريخ لمعارضة صعود الفكر القوميّ؛ حيث رسخت الحداثة الرَّأسماليّة نفسها كنظام عالميّ مهيمن، مع اعتبار الدّول القوميّة أداة للسَّيطرة. وبينما نناقش الأُمَمِيَّة غالباً كظاهرة من ١٥٠ إلى ٢٠٠ عام الماضية، فإنّ نضال الإنسانيَّة يمتدّ لآلاف السّنين؛ فقد ناضلت النّساء والعبيد، والشّعوب المضطهدة دائماً ضدّ الأنظمة المركزيَّة الاستغلاليَّة؛ حيث أشار السَّيِّد عبد الله أوجلان إلى أنّ ممارسة الكونفدراليَّة موجودة منذ زمن طويل كوسيلة للتَّنظيم الذَّاتيّ الاجتماعيّ. وقد كانت اتّحادات الشّعوب من مختلف الأمم والثَّقافات والهويّات، الّتي تجتمع وتنظّم نفسها على أساس مبدأ «الوحدة في التَّنوّع»، حاضرة في التَّاريخ في العديد من المناطق الجغرافيّة المختلفة. وتعارض الأُمَمِيَّة، الّتي ولدت من صعود الرَّأسماليّة، هذا النِّظام عالميّاً، ومع ذلك، فإنّ القيم الكامنة وراءها - الوحدة والتَّضامن والنِّضال الجماعيّ من أجل كرامة الإنسان - قديمة قدم المجتمع البشريّ نفسه، ومتجذّرة في قيم تمّ تأسيسها على مدى آلاف السّنين.

من المفيد جداً النَّظر إليها على أنَّها نضالٌ دام قروناً من الزَّمن من أجل الحرّيَّة والتَّحرُّر، وهي حقيقةٌ إنسانيَّة مستمرّة قاومت الاستعمار بكل أشكاله. وبهذا المعنى يمكن تتبّع تاريخ الأُمَمِيَّة إلى ما هو أبعد من ٢٠٠ عامٍ مضت؛ إلّا أنّها قد نشأت كمفهوم إلى حدّ كبير نتيجة التّحوّلات التَّاريخيّة الّتي أعقبت الثَّورة الفرنسيَّة عام ١٧٨٩، وأدّت هذه التّحوّلات إلى تطوّر الاشتراكيّة، والدّيمقراطيَّة الرّاديكاليّة، والحركة النّسويَّة، وتحرير المرأة، ومبدأ أنّ لجميع النّاس الحقّ في تشكيل أسلوب حياتهم. هذا الحقّ هو قيمة أساسيَّة من قيم الأُمَمِيَّة.

وفيما يتعلّق بأسس الأُمَمِيَّة، نجد مصطلحات مثل الأُمَمِيَّة البروليتاريّة، ووحدة المضطهدين، وتضامن الشّعوب، حيث يرتبط النِّضال الأمميّ غالباً بالشّعار الشّهير من البيان الشّيوعيّ: «يا عمال العالم، اتحدوا!». هذه الدّعوة تعارض قوى التّقسيم القوميّة والحدود الوطنيّة. ومع ذلك، فإنّنا نرى من منظورنا اليوم، الحاجة إلى وحدة أوسع تتجاوز العمَّال وحدهم. فنضالات

المـرأة، والقيـم الجماعيّـة، والمقاومـة الجماعيّـة ضـدّ سـلطة الدّولـة، والرَّأسـماليّة، والقمـع لهـا جـذور عميقـة مترسّـخة عبـر التَّاريـخ.

هنـاك العديـد مـن الأطـر لتحليـل مجتمعنـا، ولكـن مـع تصاعـد الحـركات الدُّوليَّـة، تـزداد الدَّعـوة إلى توحيـد النِّضـال العابـر للحـدود قـوَّة، حيـث يتـردَّد صـدى دعـوة تشـي غيفـارا إلـى «إنشـاء فيتنـام واحـدة، اثنتيـن أو ثـلاث» فـي عالـم لا يـزال يعانـي مـن الفقـر، وسـلطة الـدّول العسـكريّة، والتَّدميـر البيئـيّ، والعبوديّـة. فالحرّيَّـة بالنّسـبة للبعـض ليسـت حرّيَّـة حقيقيّـة علـى الإطـلاق؛ لذلـك عندمـا نفـكك الحداثـة الرَّأسـماليّة بكاملهـا ونعـزّز التَّغييـر الحقيقـيّ القائـم علـى البيئـة، والدّيمقراطيَّـة الشَّـعبيَّة الجذريّـة، وتحريـر المـرأة فإنّـه يمكننـا حينئـذٍ الشّـعور بالرضـا. ويتطلّـب هـذا الهـدف منّـا جميعـاً المزيـد مـن العمـل والجهد الموحَّـد لكـي يتحقّـق.

قـدَّم عبـد الله أوجـلان فـي رسـالةٍ عـام ٢٠١٤، مجموعـة مـن وجهـات النَّظـر، ولا سـيَّما فيمـا يتعلّـق بالنِّضـال الأممـيّ وعلاقتـه بالثَّـورة الكرديّـة. إحـدى هـذه الوجهـات كانـت تدعـو إلـى الحاجـة لإحيـاء روح ثـورة أكتوبـر، وأن تصبـح روح آفـا رمَـزاً للمقاومـة، علـى غـرار فلسـطين فـي سـبعينيّات وثمانينيّـات القـرن العشـرين، عندمـا كانـت فلسـطين بمثابـة نقطـة محوريّـة للعديـد مـن الحـركات الأُمَميَّـة فـي جميـع أنحـاء العالـم، وهـذا يثيـر التّسـاؤل الأساسـيّ التَّالـي: هـل حقّقنـا هـذه الأهـداف؟ وإذا لـم يكـن الأمـر كذلـك، فكيـف نتحـرّك نحوهـا؟

إنّ فكـرة إحيـاء ثـورة أكتوبـر تسـتحضر وجهـات نظـر متنوّعـة، ومـع ذلـك فهنـاك إجمـاع علـى أنّ الثَّـورة مثّلـت تحوُّلاً كبيـراً في الاتّحاد السُّـوفييتيّ، وكانـت مصـدر إلهـام للشّـعوب، والثُّـوَّار فـي جميـع أنحـاء العالـم. لقـد أصبحـت ثـورة أكتوبـر منـارة أملٍ للجميـع خـلال فتـرة مـن اليأس الواسـع النِّطـاق بعـد مـا خلفتـه الحـرب العالميّـة الأولـى مـن دمـار، وتفكّك الأُمَميَّـة الثَّانيـة، وتحوّلهـا إلـى دعايـة قوميّـة وتعبئـة للحـرب؛ حيـث دعـت إلـى رفـض الأفـكار الإصلاحيّـة ومواصلـة النِّضـال الثَّـوريّ.

وتعتبـر النَّتائـج طويلـة المـدى مسـألة أخـرى، لكـنّ المعنـى الأساسـيّ للثَّـورة يظـلّ ذا أهمّيَّـة تاريخيَّـة. فالثَّـورة عمليَّـة مسـتمرّة، وليسـت حدثـاً واحـداً. فالهـدف الثَّـوريّ لا يحقّـق عمـلاً واحـداً، أو تغييـراً واحـداً؛ بـل يتطلّـب الأمـر زخمـاً مسـتداماً. فعلـى غـرار ثـورة أكتوبـر الّتـي أعقبـت ثـورة فبرايـر الّتـي أطاحـت بنظـام قيصـر، كانـت الخطـوة التَّاليـة فـي روسـيا هـي نقـل السُّـلطة إلـى الشَّـعب.

لقـد لعبـت الحركـة الفلسـطينيّة دوراً محوريّـاً للعديـد مـن الحـركات فـي جميـع أنحـاء العالـم فـي السّـتّينيّات، والسّـبعينيّات، والثَّمانينيّـات؛ حيـث وفَّـرت الحركـة الفلسـطينيَّة مسـاحة لحـزب العمَّـال الكردسـتانيّ والنِّضـال الكـرديّ وإعـادة الهيكلـة، وتلقّـي التّدريـب الأساسـيّ لا سـيَّما فـي التَّكتيـكات المسـلَّحة وتكتيـكات حـرب العصابـات. وعنـد النَّظـر إلـى إمكانيَّـة أنْ تلعـب روح آفـا الـدّور التَّاريخـيّ الّـذي لعبتـه الحركـة الفلسـطينيَّة مـن المهـمّ فهـم السِّـياق التَّاريخـيّ؛ حيـث تختلـف ظـروف روج آفـا عـن ظـروف ثـورة أكتوبـر، والثَّـورة الفلسـطينيّة فـي العقـود الماضيـة؛ حيـث يتشـكّل كلّ نضـال فريـد مـن نوعـه وفقـاً لزمانـه وسـياقه التَّاريخـيّ.

ومـع ذلـك، فقـد خلقـت روج آفـا فـي جوهرهـا مكانـاً يمكننـا فيـه التَّوحّـد والنِّضـال والمشـاركة الفعّالـة فـي العمـل الثَّـوريّ، فنحـن منغمسـون هنـا فـي مبـادئ الأمَّـة الدّيمقراطيَّـة فـي شـمال وشـرق

سوريا، وندافع عن الثَّورة ضدّ العدوان الخارجيّ، وبينما ندرس تحدّيات وقيود الأُمَمِيَّة في روج آفا فإنّه ينبغي علينا أيضاً أن نعترف بأنَّه قد تمَّ بالفعل تحقيق بعض الأهداف، ممّا أتاح عقد تجمعات مثل هذا المؤتمر. لم نحقّق جميع أهدافنا بعد، ولكن هذا لا يزيدنا إلَّا إصراراً على النِّضال من أجل تطبيق مبادئنا في كلّ مكان.

لقد قدّم لنا العقد الماضي من الثَّورة دروساً، وإلهاماً لا يقدَّر بثمن، حيث تعكس هذه السّنوات العشر مجموعة من الأفكار الأُمَمِيَّة في الممارسة والتَّطبيق العمليّ، ابتداءً من التَّضامن الرَّمزيّ - من خلال الدَّعم الإيديولوجيّ والمادّيّ والرَّمزيّ - إلى العمل المباشر للأمميّين الّذين وقفوا ضدّ تركيا وداعش والقوى الفاشيَّة الأخرى، ودافعوا عن الثَّورة على خطوط المواجهة.

بهذا الشّكل، استطعنا إحياء روح الألوية الدُّوليَّة من ثلاثينيَّات القرن العشرين. ورغم اختلاف ظروف إسبانيا، إلّا أنّ الجوهر لم يتغيّر، وهذه الرُّوح هي ما نهدف إلى تعزيزه في لحظاتٍ تاريخيَّة مثل المؤتمر الأمميّ الّذي عقد في روجآفا عام ٢٠٢٢. إنّ دعم نضال روج آفا لا يعني التَّخلي عن نضالاتنا في الدَّاخل، بل هو الانضمام إلى نضال أمميّ مشترك بطبيعته، وستكون الهزيمة في كردستان نكسة عميقة للحركات في جميع أنحاء تركيا، وسوريا، وإيران، والعراق، والشّرق الأوسط، والعالم. وفي المقابل سيوجَّه النّصر هنا ضربة قويّة للاحتلال والفاشيَّة، ممَّا سيعزِّز الدّيمقراطيَّة في الشّرق الأوسط ويحفّز الإمكانيَّات الثَّوريّة على الصَّعيد العالميّ.

في نهاية المطاف، فإنّ الأُمَمِيَّة ليست مجرَّد نظريّة؛ بل إنَّها الدّافع لاتِّخاذ أيّ إجراء، ووحدة تُصاغ بالجهد والتَّضحية، لا بالأقوال فحسب. هذا هو إرث الرّفاق الّذين نسعى لمواصلة مسيرتهم؛ لذا ينبغي علينا الآن تحدّيد المهام الّتي أمامنا في نضالنا الأمميّ، وإذ كان هناك وجهات نظر لا حصر لها للنُّهوض بحركاتنا العالميّة، فإنَّ المهمّة العاجلة هنا في روج آفا هي مقاومة الفاشيَّة التُّركيَّة، ودعم الثَّورة، والنِّضال من أجل حرّيَّة عبد الله أوجلان، ونشر أفكار الثَّورة في جميع أنحاء العالم.

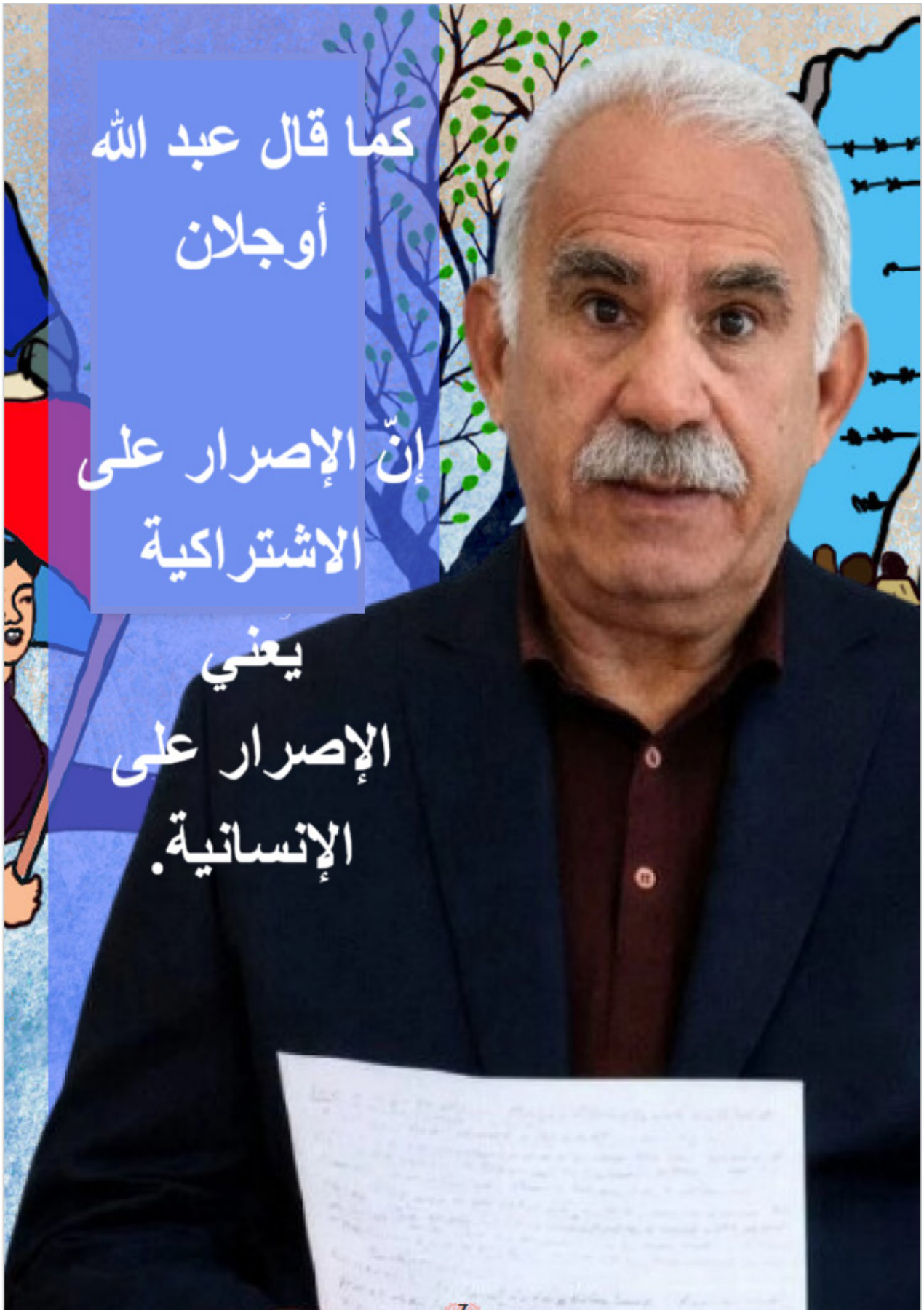
كما قال عبد الله أوجلان
إنّ الإصرار على الاشتراكية
يعني
الإصرار على
الإنسانية.

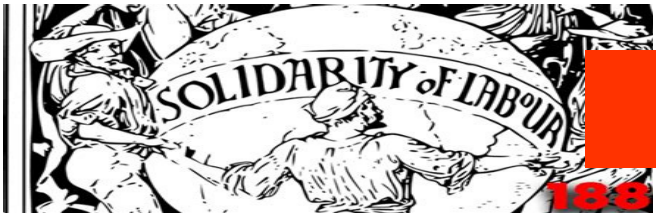

2- التَّجارب التَّاريخيّة للأمميّات الثَّلاث

لقد أثّرت تجارب الأمميّات بشكل عميق على الحركات والنِّضالات الثَّوريّة في جميع أنحاء العالم، حيث يقدّم هذا القسم لمحة موجزة عمّا حدث خلال فترة الأمميّات الثَّلاث، موضّحاً كيف استفادت كلّ واحدة من سابقتها، وكيف أنّها ما تزال تقدّم لنا دروساً مهمّة اليوم. هذه اللحظات في تاريخ النِّضال من أجل الحرّيَّة مهمّة لأسباب عديدة، فعندما ننظر إليها الآن لا نرى تطورات إيجابيّة، وتقدّماً ثوريّاً فحسب، بل نرى أيضاً العديد من التَّحدّيات والأخطاء وأوجه القصور إيديولوجيّاً ونظريّاً وعمليّاً، في حين أنّنا قد لا نتّفق جميعاً على كيفيَّة تقييم هذه التَّجارب، لكنَّها ستظلّ جزءاً أساسيَّاً من تاريخنا المشترك كاشتراكيّين، وثوريّين، ومناضلين من أجل الحرّيَّة. وبهذا المعنى فإنّ إرث الأمميّات الثَّلاث هو بلا شكّ جزءٌ أساسيّ من النِّضال التَّاريخيّ في سبيل أجل الحرّيَّة.

خلال هذه الفترة من التَّنظيم الدّوليّ للاشتراكيّة، كانت إحدى اللحظات الحاسمة هي نشر البيان الشّيوعيّ من قبل ماركس وإنجلز في عام ١٨٤٨، مع دعوته الشهيرة، «يا عمَّال العالم، اتّحدوا!» ساعد هذا الشّعار، إلى جانب تحليل الرَّأسماليّة في البيان، على نشر فكرة الأُمَمِيَّة البروليتاريّة. لكن مع تبلور هذه الأفكار، بدأت حركات العمَّال في مختلف المناطق - وخاصَّة في أوروبَّا - في تنظيم أنفسها، متسائلة عن كيفيَّة توحيد نضالاتها. وتساءلت عن كيفيَّة تنظيم العمَّال داخل بلدانهم، وكيف يمكّنهم التّعاون عبر الحدود، وكيفيَّة معالجة الظّروف المختلفة في كلّ بلد. وعلى الرّغم من الاختلافات الوطنيّة، فقد سعوا إلى إيجاد أرضيّة مشتركة لتوحيد حركاتهم. وبينما نظّمت الرَّأسماليّة نفسها حول المصالح الوطنيّة، فقد خلقت أيضاً تحالفات قويّة، وصراعات بين قوى البرجوازيّة الوطنيّة المختلفة.

الأُمَمِيَّة الأولى:

وسط هذه المناقشات، تأسّست جمعيّة العمَّال الدُّوليَّة - المعروفة باسم الأُمَمِيَّة الأولى - في لندن عام ١٨٦٤. وعلى الرّغم من وجود العديد من التَّحدّيات والانقسامات الإيديولوجيّة داخل الأُمَمِيَّة الأولى، إلّا أنّ أعظم إنجازاتها كان إرساء تضامن منسّق بين حركات العمَّال لأوّل مرّة. فعندما نظّمت المنظَّمات الاشتراكيّة،

أو حركات العمَّال إضرابات، أو احتجاجات، سواء في المصانع، أو المناطق الرّيفيّة، لم تكن معزولة، بل كانت مدعومة بشبكة دوليّة ساعدت في استدامة نضالاتها، ممّا جعلها أكثر قوَّة وتنظيماً.

ولم تكتفِ الأُمَمِيَّة الأولى في سنواتها الأولى بالحديث عن الحاجة إلى الأُمَمِيَّة والوحدة بين العمَّال، بل نجحت، على الأقلّ على نطاق ضيّق، في خلق تضامن منسّق بين حركات مختلفة. واليوم، غالباً ما تُذكّر الأُمَمِيَّة الأولى بالصِّراعات والتّناقضات الّتي نشأت داخلها. وقد تطوّرت هذه التوتّرات بشكل أساسيّ بين ثلاثة فصائل رئيسيّة: تلك المحيطة ببرودون، وباكونين، وماركس. وقد زادت تجربة كومونة باريس من حدّة الصِّراع، ولا سيَّما بين الماركسيّين والأناركيّين. وكان من بين القضايا المحوريّة في النّقاش أسئلة حول دور المركزيَّة مقابل اللامركزيَّة، وما إذا كان ينبغي للثَّورة أن تهدف إلى الاستيلاء على سلطة الدّول، أو رفضها تماماً. وقد نوقشت هذه القضايا بالفعل قبل كومونة باريس، لكن الحدث سلّط الضَّوء عليها بشكل أكبر.

على الرّغم من الجهود المبذولة للحفاظ على الوحدة، فقد أدّت الآراء المتباينة حول هذه القضايا الجوهريّة ولا سيَّما بعد كومونة باريس إلى التّراجع التّدريجيّ للأمميّة الأولى، وجاءت الضّربة القاضية بعد مؤتمر لاحق مُنع فيه الأناركيّون من التّصويت، ممّا دفعهم إلى مغادرة المنظَّمةّ وتشكيل أمميّة بديلة خاصَّة بهم. تأسّست هذه المجموعة الجديدة المعروفة باسم «الأُمَمِيَّة الأناركيّة لسانت إيمير» أو «الأُمَمِيَّة المناهضة للسّلطويّة» في جبال جورا بسويسرا عام ١٨٧٢. كما نظَّمت نفسها تحت اسم «رابطة العمَّال الأُمَمِيَّة». وكان هناك أمميّتان لفترة محدَّدة تحملان الاسم نفسه: إحداهما كانت متأثّرة بمواقف باكونين الأناركيّة، والأخرى بآراء ماركس. ولم تدم أيٌّ منهما طويلاً؛ حيث انحلت الأُمَمِيَّة الأولى في سبعينيّات القرن التَّاسع عشر، وتلتها الأُمَمِيَّة المناهضة للسّلطويّة في ثمانينيّات القرن نفسه.

بعد استبعاد الأنارشيّين من الأُمَمِيَّة الأولى، ظلّ النَّقابيّون نَشِطِين في إنجلترا وإيطاليا وفرنسا. لقد مثّلوا أحد التَّيّارات الرّئيسيّة الثَّلاثة: (برودون، والأناركيّة، والماركسيَّة) داخل الحركة الاشتراكيّة الأوسع. ومع ذلك لم يتمكّنوا من التَّوحّد بسبب التَّناقضات المستمرّة، وهو وضع استمرّ في الأُمَمِيَّة الثَّانية، حيث واجهت الحركات الاشتراكيّة والشّيوعيّة تناقضات خلال هذه الفترة الأناركيّة.

كان هناك حركات كبيرة ذات إمكانات كبيرة في ذلك الوقت؛ ومع ذلك فقد تمّ النَّظر إلى دعم المصالح البرجوازيّة من قبل قادة الأُمَمِيَّة الأولى خلال الحربين

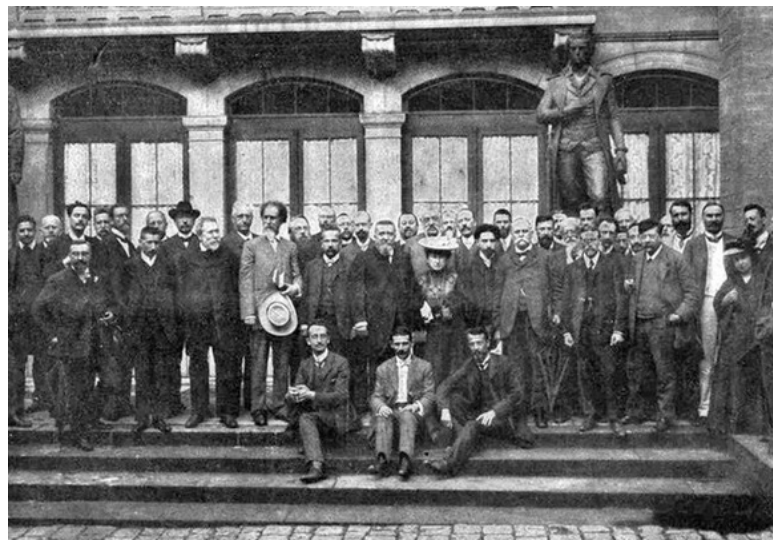

العالميّتين على أنّه سبب وفاة العديد من العمَّال. ومن المهمّ ملاحظة أنّ الصِّراع بين الأنارشيّين والشّيوعيّين قد تفاقم بسبب عوامل خارجيَّة، وتطوّرات سياسيَّة في أوروبَّا، واتّفاقيَّات بين القوى الإمبرياليّة.

وعلى الرّغم من التّناقضات الكبيرة، والانفصال بين الفصائل، فإنّ الصِّراع والمناقشات لم ينتهِ، فلم يكن حل الأُمَمِيَّة الأولى نهاية العمليّة، بل كان الخطوة الأولى. وعلى الرّغم من أنّه لم يكن من الممكن الحفاظ على الوحدة، إلّا أنّ المجموعات المختلفة واصلت جهودها لتنظيم، وبناء حركة دوليَّة بطرقها الخاصَّة. ونتيجةً لذلك اشتدَّت النِّقاشات حول ضرورة وجود أمميّة جديدة بلغت ذروتها في تأسيس الأُمَمِيَّة الثَّانية في باريس عام ١٨٨٩.

الأُمَمِيَّة الثَّانية:

تمحورت إحدى النّقاشات الرّئيسيّة في الفترة الّتي سبقت تأسيس الأُمَمِيَّة الثَّانية، حول كيفيَّة تنظيم الحركة الاشتراكيّة لنفسها. فكان أحد الدُّروس الرّئيسيّة الّتي استخلصها ماركس من كومونة باريس هو أنّ الطَّبقة العاملة، والمضطهدين لا ينبغي أن تنظّم نفسها في مجموعات فضفاضة، أو تركّز فقط على النِّضالات الاقتصاديّة، بل يجب عليها أيضاً تشكيل أحزاب سياسيَّة. وقد أكّد على أنّ العمَّال بحاجة إلى التَّنظيم السّياسيّ، وليس الاقتصاديّ فقط؛ حيث أرست هذه الفكرة الأساس لإنشاء الأُمَمِيَّة الثَّانية، وتفسير سبب ظهور الأحزاب الاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة، والاشتراكيّة في العديد من البلدان المختلفة، قبل وبعد تشكيلها.

كانت قضية تحرير المرأة من القضايا المهمّة داخل الأُمَمِيَّة منذ البداية. وفي فترة الأُمَمِيَّة الأولى غالباً ما كان يتمّ تجاهل هذا الموضوع، أو بالأحرى تمّ تجاهله تماماً من قبل العديد من الأعضاء. ففي البداية كان هناك نقاش حول ما إذا كان ينبغي السّماح للنِّساء بالانضمام إلى الأُمَمِيَّة، واستغرق الأمر عاماً، أو عامين بعد تأسيس الأُمَمِيَّة الأولى لاتّخاذ قرار يسمح للنّساء بالمشاركة، وحضور اجتماعات المجلس. ومع ذلك، وعلى الرّغم من المناقشات العرضيَّة حول ضرورة حقوق المرأة، فقد ظلّ هذا الأمر مصدر قلق لعدد قليل من الأعضاء، ومع ذلك، انخرط العديد من النّساء بنشاط في مختلف الأقسام المحلّيّة للأمميّة الأولى خلال فترة وجودها.

بحلول موعد الأُمَمِيَّة الثَّانية، كان هناك تحوّلٌ ملحوظ بفضل جهود النّساء داخل الحركة الاشتراكيّة والمناقشات المتزايدة حول حقوق المرأة، فقد أصبح موضوع تحرير المرأة أكثر ظهوراً، حيث تمّ الاعتراف بشكل متزايد بحاجة النّساء إلى التَّنظيم والمطالبة بحقوقهنّ، وتمَّ تحقيق إنجازات جديدة من خلال نضالهنّ.

مثّلت الأُمَمِيَّة الثَّانية بشكلٍ عامّ، استمراراً للأمميّة الأولى، ولكن بقوَّة تنظيميّة أكبر ووضوح إيديولوجيّ أوسع. حيث نجحت الأُمَمِيَّة الثَّانية في إنشاء منظمات عمّاليَّة جماهيريّة بفضل أسسها الإيديولوجيّة الأكثر وضوحاً، ولا سيَّما تأثير الماركسيَّة. وفي حين أنّ الأُمَمِيَّة الأولى كانت غالباً ما تتألّف من مجموعات صغيرة ذات آراء مختلفة حول الاشتراكيّة، وحقوق العمَّال، كانت الأُمَمِيَّة الثَّانية أكثر توحيداً في التزامها بالاشتراكيّة، حيث كانت الماركسيَّة وأفكار ماركس وإنجلز بمثابة مبادئها التَّوجيهيّة.

ما الاستراتيجيّات الّتي ينبغي اتّباعها؟ وكيف ينبغي تحقيق هذه الأهداف؟ لقد كانت هذه أسئلة رئيسيّة أثارت نقاشاً كبيراً داخل الأُمَمِيَّة الثّانية، الّتي اشتهرت بالصِّراع بين المواقف الإصلاحيّة والثّوريّة. فمن جهة، ركّزت بعض الجماعات على ضرورة التّنظيم بشكل قانونيّ ضمن الأنظمة القائمة، وأعطت الأولويَّة للنِّضالات الاقتصاديّة للعمّال، ودعت إلى المشاركة السّياسيّة من خلال الانتخابات ساعيةً إلى الوصول إلى السُّلطة عبر البرلمانات، وإحداث تغيير تدريجيّ من خلال الإصلاحات. من جهة أخرى كان هناك البعض ممَّن عارض هذا النَّهج، بحجّة أنّه يسيء فهم الطَّبيعة الحقيقيّة للرَّأسماليَّة، والنِّظام الّذي كانوا يقاتلون ضدّه. لقد اعتقدوا أنّ التَّركيز يجب أن ينصبَّ على تنظيم العمَّال في قوَّة ثوريّة قادرة على الإطاحة بالنِّظام، وإقامة دكتاتوريّة البروليتاريا.

دار هذا الخلاف في العديد من البلدان، لكنّ أبرز مثال عليه ما حدث في روسيا؛ حيث أدَّى إلى الانقسام بين البلاشفة، والمناشفة، وتمحور انفصالهم حول عدّة قضايا: ما إذا كان ينبغي إعطاء الأولويَّة للتَّنظيم القانونيّ، والإصلاحيّ، أم للتَّنظيم غير القانونيّ والنِّضال الثَّوريّ، وكيف ينبغي هيكلة الحزب نفسه؟ وهل ينبغي أن يكون الحزب الاشتراكيّ الدّيمقراطيّ منظَّمة جماهيريَّة فضفاضة مفتوحة لأيّ شخص يدَّعي أنَّه اشتراكيّ، أم أنّه ينبغي بناؤه حول مبادئ محدَّدة للتَّنظيم والنِّضال مع إلزام كلّ عضو بالمشاركة الفعّالة في اللجان، وتحمّل المسؤوليّات؟ مثّل هذا النّقاش بداية المفهوم التَّنظيميّ الّذي طوّره البلاشفة لاحقاً - نظريّة لينين عن حزب الطَّليعة، وهو حزب من المناضلين والثَّوريّين المحترفين، ونشأت هذه الفكرة من المناقشات والصِّراعات داخل الحزب الاشتراكيّ الدّيمقراطيّ الرّوسيّ.

وتطوّرت صراعات مماثلة في بلدان أخرى، حيث ساهمت شخصيّات مثل روزا لوكسمبورغ بعمل نظريّ مهمّ حول مسألة الإصلاح مقابل الثَّورة، فكانت كتاباتها مهمّة بشكل خاصّ في فهم هذا النِّقاش ضمن الحركة الاشتراكيّة الأوسع في ذلك الوقت.

على الرّغم من كلّ المناقشات والآراء المختلفة، تمكّنت الأُمَمِيَّة الثَّانية من الحفاظ على وحدتها حتَّى اندلاع الحرب العالميّة الأولى. والأمر المثير للاهتمام بشكل خاصّ هو أنَّه على الرّغم من الخلافات حول كيفيَّة إدارة النِّضال، ظلّ الموقف الإيديولوجيّ للأمميّة الثَّانية واضحاً تماماً حتَّى اندلاع الحرب.

كان موقفها السّائد هو موقف مناهضٌ للعسكرة، ومعارضة أيّ حرب بين الدّول القوميّة، والطَّبقات الحاكمة، وبدلاً من ذلك تعزيز وحدة العمَّال والطَّبقات المضطهدة عبر الحدود الوطنيّة. كان هذا رأياً مقبولاً على نطاق واسع داخل الحركة الاشتراكيّة قبل الحرب. ففي عامي ١٩٠٧ و١٩١٣، وقبل عام واحد فقط من بدء الحرب أعلنت الأُمَمِيَّة الثَّانية بشكل قاطع أنّه إذا اندلعت مثل هذه الحرب فإنَّ الرَّدَّ المناسب الوحيد من الحركة الاشتراكيّة سيكون حرب الطَّبقات، فلم تكن الخطَّة هي دعم جهود التَّعبئة للبرجوازيّة، أو الوقوع في فخّ الدِّعاية القوميّة والعنصريّة، بل شنَّ حرب طبقات، ووضع العمَّال في مواجهة الطَّبقات الحاكمة، وحكومات الدّول القوميّة.

ومع ذلك، عندما بدأت الحرب بالفعل، تخلّت غالبيَّة الحركة الاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة عن هذه

المواقف المناهضة للحرب دون نقاش، وانضمت بدلاً من ذلك إلى الدِّعاية القوميّة لدولها، ممّا أدّى هذا إلى حل الأُمَمِيَّة الثَّانية. فعلى الرّغم من وجود عدَّة محاولات لمواصلة عملها، إلا أنّ الوحدة لم تعد ممكنة.

عارض العديد من الثَّوريّين من مختلف الفصائل الاشتراكيّة، والشّيوعيّة، والمنظَّمات الأناركيّة، وغيرها من الجماعات هذه الخيانة، وسعوا إلى تنظيم المقاومة ضدّ الحرب. ولم تكن هذه الجهود ناجحة إلى حدّ كبير، حتَّى ثورتي فبراير، وأكتوبر في روسيا اللتين أشعلتا موجة ثوريّة في جميع أنحاء أوروبَّا، وأعادتا إحياء روح معارضة الحرب.

وعلى الرّغم من انهيارها في نهاية المطاف، فقد حقّقت الأُمَمِيَّة الثَّانية العديد من الإنجازات الهامَّة، فعلى سبيل المثال: أعلنت الأوّل من مايو/أيار يوماً عالميّاً للعمّال عند تأسيسها. وجاء إنجاز رئيسيّ آخر في عام ١٩١٠، خلال المؤتمر الثَّاني للمرأة الاشتراكيّة، عندما تمّ اتّخاذ قرار بإنشاء يوم عالميّ للمرأة، وأدَّى ذلك إلى الاحتفال بأوّل يوم عالميّ للمرأة في عام ١٩١١، حيث تجمَّع ملايين النّساء والعمَّال حول العالم للمطالبة بحقّ التَّصويت، والنِّضال من أجل حقوقهم، وتحرّرهم. وفي المؤتمر التَّأسيسيّ للأمميّة الثَّانية في عام ١٨٨٩، أكّدت كلارا زيتكين على الدّور الحاسم لتنظيم المرأة في الحركة العمّاليَّة، وعقدت النّساء الاشتراكيّات مؤتمراً أوّليّاً غير رسميّ في عام ١٨٩٦، وبين عامي ١٩٠٧ و١٩١٧، تمَّ تنظيم أربعة مؤتمرات نسائيَّة رئيسيّة في شتوتغارت وكوبنهاغن وبرن وستوكهولم.

الأُمَمِيَّة الثَّالثة:

نتيجةً للخيانة الكبرى داخل الأُمَمِيَّة الثَّانية، وفي أعقاب نجاح ثورة أكتوبر، بدأت المناقشات حول الحاجة إلى أمميّة جديدة في وقت مبكر، وبلغت هذه المناقشات ذروتها بتأسيس الأُمَمِيَّة الثَّالثة في عام ١٩١٩ في موسكو. وكانت هناك آراء متباينة حول ما إذا كان التّوقيت مناسباً، أو ما إذا كانت الظّروف مواتية، ولا سيَّما بين قيادة الحزب الشّيوعيّ في ألمانيا، والحزب الشّيوعيّ في موسكو، ومع ذلك، في النِّهاية، تمَّ تأسيس الأُمَمِيَّة الثَّالثة - الأُمَمِيَّة الشّيوعيّة - رسميّاً في عام ١٩١٩.

اختلفت الأُمَمِيَّة الثَّالثة عن سابقاتها في عدّة جوانب رئيسيّة، لا سيَّما في نهجها التَّنظيميّ والوضوح الإيديولوجيّ، وأصبح مفهوم الطّليعة الثَّوريّة في ظلّ قيادة لينين - المؤلّفة من ثوريّين محترفين ومناضلين – مفهوماً محوريّاً، حيث انعكس ذلك في اعتماد النَّموذج التَّنظيميّ للمركزيَّة الدّيمقراطيَّة، الّذي بنى الحركة الثَّوريّة بمزيد من الانضباط والوحدة.

كان هناك تحولٌ هام آخر في تركيزها الجغرافيّ. فبينما ركّزت الأمميّات السّابقة بشكل أساسيّ على أوروبّا وأمريكا الشّماليَّة وروسيا، بدأت الأُمَمِيَّة الثّالثة في توجيه اهتمامها نحو الشّرق والجنوب العالميّ، مثل دول الصِّين، والهند، وأمريكا الجنوبيّة، والعديد من الدّول في أفريقيا.

أصبح هذا التَّحوّل، الّذي بدأ حوالي عام ١٩٢٠، أكثر وضوحاً عندما فشلت الثَّورات المتوقّعة في أوروبَّا الغربيّة في التَّحقّق، وأدَّت هذه الهزائم إلى إعادة تقييم الاستراتيجيّة الثَّوريّة العالميّة، مع التَّركيز المتزايد على النِّضالات في المناطق المستعمرة وشبه المستعمرة.

تمَّ إضفاء الطَّابع الرَّسميّ على هذا التَّحوُّل الإيديولوجيّ خلال مؤتمر باكو[1] لشعوب الشّرق عام ١٩٢٠، وقد طرح المؤتمر أطروحات جديدة تحدّت التَّركيز الأوروبيّ المركزيّ للحركات الاشتراكيّة السّابقة. وقد عارض ثوَّارٌ من مناطق مثل الهند، والصِّين فكرة أنَّ أوروبَّا مركز العالم، وأنّ نجاح الثَّورات المناهضة للاستعمار في المستعمرات شرط أساسيّ للثَّورة في المراكز الإمبرياليّة. وأكّدوا أنّ الثَّورة في ما يُسمّى «العالم الأوَّل» لا يمكن أنْ تنجح إلَّا إذا انتصرت نضالات التَّحرير في المستعمرات أيضاً، وهذا يعني أنّ الأمميّين، والشّيوعيّين، والثُّوَّار من القوى الاستعماريَّة كان عليهم واجب دعم الحركات المناهضة للاستعمار من خلال معارضة السّياسات الاستعماريَّة لبلدانهم.

على الرّغم من عدم قبول هذا الموقف عالميّاً في البداية، إلّا أنّه اكتسب مكانة بارزة تدريجيّاً بفضل جهود شخصيَّات ثوريّة رئيسيّة، وأصبح في نهاية المطاف الرّأي السَّائد داخل الأُمَمِيَّة الثَّالثة حتَّى وإنْ قاومته بعض الفصائل داخل الأحزاب الشّيوعيّة الأوروبيّة من حينٍ لآخر. وبحلول المؤتمر الثّاني للأمميّة الثَّالثة، تمّ إقرار التَّحوّل في التَّركيز نحو الشّرق، والجنوب رسميّاً، وأعلن المؤتمر أنّ قلب الكفاح الثَّوريّ لم يعد في نصفَي الكرة الأرضيّة الغربيّ والشّمالي، بل في الأجزاء الجنوبيّة، والشّرقيّة من العالم. كما أكّد أنّ النِّظام الإمبرياليّ العالميّ الّذي يهدّد الثَّورات، بما في ذلك الثَّورة في الاتّحاد السُّوفييتيّ، لا يمكن تفكيكه إلَّا من خلال كفاح عالميّ مناهض للاستعمار. وبينما تغيّر التَّركيز الاستراتيجيّ للأمميّة الثَّالثة، ظلَّ النَّهج وضعيّاً للغاية، ممَّا جعله موضوعاً للنَّقد لهذه الأُمَمِيَّة.

سعت الأُمَمِيَّة الثَّالثة أيضاً إلى البناء على التَّقدُّم المحرز فيما يتعلّق بنضالات المرأة خلال الأُمَمِيَّة الثَّانية. ومع ذلك تكشف الإحصاءات والسّجلّات من المؤتمرات عن نقص كبير في تمثيل المرأة في هيئات صنع القرار في الأُمَمِيَّة الثَّالثة. وعلى الرّغم من أنّ العديد من النّساء شاركن بنشاط في النِّضالات في مختلف البلدان إلّا أنّ مساهماتهنّ غالباً ما لم يتمّ الاعتراف بها، وكثيراً ما تمَّ استبعادهنّ من الأدوار القياديَّة، ولأوَّل مرّة تمَّ تأسيس الأُمَمِيَّة النِّسائيّة الّتي استمرَّت من عام ١٩٢٠ حتَّى عام ١٩٣٠.

بالإضافة إلى ذلك، تمَّ تنظيم الأُمَمِيَّة الشّبابيّة خلال هذه الفترة، بهدف تحقيق درجة من الاستقلال الذَّاتيّ، فكان هذا الجهد من أجل الاستقلال استجابة طبيعيّة من كلٍّ من الشّباب المنظّم، والنّساء اللواتي نشأ نضالهنَّ من واقع

١ كانت باكو عاصمة أذربيجان السُّوفييتية.

مختلف، وتحدّيات فريدة واجهنها، ومع ذلك، تمَّ تقليص هذا السَّعي لتحقيق الاستقلال الذَّاتيّ في نهاية المطاف.

ففي البداية، حاولت الأُمَمِيَّة الشّبابية أن تتّخذ من مركز النِّضال الثَّوريّ - ألمانيا - مقراً لها، لا في أمان الاتّحاد السُّوفييتيّ النّسبيّ، حيث كانت تعمل في ظلّ ظروف غير شرعيّة وتواجه قمعاً شديداً، فكان هدفهم هو التّأكيد على ضرورة العمل الثَّوريّ خارج الاتّحاد السُّوفييتيّ، حيث نجحت الثَّورة بالفعل، لكنّها لم تنجح في أماكن أخرى. وقد حافظوا على هذا المستوى من الاستقلال الذَّاتيّ لمدّة عامين، أو ثلاثة أعوام، ولم يرفضوا قيادة الأُمَمِيَّة الشّيوعيّة، بل سعَوا إلى التَّنظيم وفقاً للدّينامّيات الخاصَّة بحركات الشّباب. فكان هدفهم هو لعب دور أكثر حسماً وجذريّة من خلال وضع أنفسهم في قلب أراضي العدوّ بدلاً من موسكو، ومع ذلك، تآكل هذا الاستقلال الذَّاتيّ تدريجيّاً مع اندماجهم في قيادة الأُمَمِيَّة الثَّالثة، ونُقل مركز أنشطتهم في النِّهاية إلى موسكو.

لقد انحلّت كلّ من الأُمَمِيَّة الشّبابيّة، والأُمَمِيَّة النِّسائيّة في نهاية المطاف، بينما سعت هاتان المنظّمتان إلى تحقيق درجة من الاستقلال الذَّاتيّ داخل الأُمَمِيَّة الشّيوعيّة، فقد اندمجتا تدريجيّاً في الاستراتيجيّة الأوسع للأمميّة الثَّالثة. وفي نهاية المطاف، تمّ حلّهما كلتيهما بحجّة أنّ قضاياهما قد تمّت معالجتها، أو سيتمّ حلّها من خلال الثَّورة الاشتراكيّة وإقامة اشتراكيّة حقيقيّة.

كان أحد التَّناقضات الرّئيسيّة الّتي ظهرت خلال الأُمَمِيَّة الثَّالثة هو اعتقاد الثَّوريّين في بداية ثورة أكتوبر بأنّ هذا الحدث سيكون بمثابة حافز للحركات الثَّوريّة العالميّة، فكان من المتوقَّع أن تعزّز الثَّورة الرّوسيَّة، وما تلاها من بناء الاتّحاد السُّوفييتيّ النِّضالات الثَّوريّة في جميع أنحاء العالم. بدا هذا التّوقّع معقولاً لفترة من الوقت - حوالي سنتين إلى ثلاث سنوات - حيث حدثت انتفاضات ضخمة، وإضرابات عمّاليَّة واسعة النِّطاق، وثورات للجنود، كما تمّ تأسيس جمهوريّات سوفيتيّة مختلفة، وتمّ الإطاحة بالنِّظام الملكيّ في النّمسا، وتطوَّرت محاولات ثوريّة في ألمانيا، من بين تطوّراتٍ أخرى.

لكن في النِّهاية، فشلوا في النَّجاح وفقاً لتحليل الأُمَمِيَّة الثَّالثة، وبمرور الوقت تحوّل التَّركيز من واقع السُّلطة وسلطة الدّول داخل الاتّحاد السُّوفييتيّ إلى مسألة ما إذا كان ينبغي التَّركيز على الثَّورة العالميّة، أو على الدِّفاع عن وجود الاتّحاد السُّوفييتيّ. وقد صاحب هذا التَّحوّل تغيير نظريّ في أوائل عشرينيّات

القرن العشرين، حيث انتقلت المناقشات من ضرورة الثَّورة العالميّة لتحقيق الاشتراكيّة إلى مفهوم الاشتراكيّة في بلد واحد. ونتيجة لذلك لم يعد يُنظر إلى الحزب الشّيوعيّ، والاتّحاد السُّوفييتيّ على أنَّهما قسم داخل الأُمَمِيَّة الشّيوعيّة، بل باتت الأُمَمِيَّة تعتمد بشكل متزايد على السّياسات السُّوفييتيّة، مادّيّاً وسياسيّاً.

لقد تمّ خوض نضالات كبيرة، بما في ذلك الانتفاضات الثَّوريّة في مناطق مختلفة، ودعم الحركات المناهضة للاستعمار في الشّرق والجنوب، وتعبئة الألويّة الدُّوليَّة في إسبانيا لمقاومة صعود الفاشيَّة في أوروبَّا، فلم تكن هذه الإنجازات نتيجة لجهود الأُمَمِيَّة الشّيوعيّة فحسب، بل تمّ تعزيزها تنظيميّاً بقوّتها.

بالتّوازي مع ذلك استمرَّت التَّشكيلات الدُّوليَّة الأناركيّة في التَّنظيم، والسَّعي إلى النُّفوذ منذ انفصال الأُمَمِيَّة الأولى، وحتَّى الوقت الحاضر من خلال اتّحادات، وجمعيَّات مختلفة مثل: الرَّابطة الدُّوليَّة للعمّال المعروفة أيضاً باسم «الأُمَمِيَّة السَّوداء»، ورابطة العمَّال الدُّوليَّة، والاتّحاد الدّوليّ للاتّحادات الأناركيّة الّذي لا يزال قائماً حتَّى اليوم.

توضّح عمليّات هذه الأمميّات الثَّلاث الدّيناميّات المتطوّرة للفكر، والممارسة الثَّوريّة، وتسلّط الضَّوء على تعقيدات الصِّراع الإيديولوجيّ، والسَّعي المستمرّ للتَّضامن بين الطَّبقة العاملة في جميع أنحاء العالم. وعلى الرّغم من اختلافاتهم، فقد شكَّلوا بشكل جماعيّ مشهد الاشتراكيّة الدُّوليَّة، ممّا يؤكّد على الحاجة المستمرّة للوحدة في مواجهة القوى القمعيَّة.

٣- الاتّحاد السُّوفييتيّ، الاشتراكيّة المشيّدة، والتَّضامن الدّوليّ (بعد عام ١٩٤٥)

استكمالًا للنِّقاشات حول الأمميّات الثَّلاث، يركّز هذا الفصل على ثلاثة مواضيع رئيسيّة تتعلّق بالخطاب النَّظريّ حول الأُمَمِيَّة، وتطبيقها من قبل الاتّحاد السُّوفييتيّ والدّول الاشتراكيّة الأخرى بعد الحرب العالميّة الثَّانية، حيث تشمل هذه المواضيع العلاقة بين حقّ الأمم في تقرير المصير، والقوميّة، والأُمَمِيَّة؛ والجدل الدّائر بين الاشتراكيّة في بلدٍ واحد مقابل الثَّورة الدّائمة؛ وثقافة صداقة الشّعوب.

من ناحية، من المهمُّ دراسة الأسس النَّظريّة للأمميّة الثَّالثة، إلى جانب الصِّراعات الدَّاخليَّة الّتي نشأت، ومن ناحية أخرى، جلبت حقبة ما بعد الحرب العالميّة الثَّانية ظهور مفهوم «صداقة الشّعوب» كتعبير عمليّ عن التَّضامن الدّوليّ. عند استكشاف هذه المفاهيم، سيكون هناك تركيز على أمثلة من الاتّحاد السُّوفييتيّ وجمهوريَّة ألمانيا الدّيمقراطيَّة (ألمانيا الشّرقيّة)، حيث يمثل ذلك أيضاً السِّياق الشّخصيّ لمؤلّف الفصل.

العلاقة بين حقّ الأمم في تقرير المصير، والقوميّة، والأُمَمِيَّة:

شكّلت الأُمَمِيَّة البروليتاريّة مبدأً أساسيّاً في الماركسيَّة اللينينيّة، وشكَّلت الأساس الإيديولوجيّ للاتّحاد السُّوفييتيّ، والدّول الاشتراكيّة والعديد من حركات التَّحرير حتَّى تسعينيّات القرن العشرين. فعلى سبيل المثال، استُلهم تأسيس حزب العمَّال الكردستانيّ من هذه المُثُل، ولا يزال الهدف النّهائيّ، المُعرَّف بالثَّورة العالميّة، مسعىً قائماً حتَّى اليوم، ومع ذلك، فقد تمَّ فهم الطَّريق إلى الثَّورة العالميّة بشكل مختلف من قِبل قادة مختلفين عبر الزَّمن، متأثّرين بتغيّر الظّروف السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيَّة، بما في ذلك الفاشيَّة والعدوان الإمبرياليّ، ممّا يتطلّب إعادة تقييم مستمرّ للاستراتيجيّات والتَّكتيكات.

كانت إحدى النِّقاط الرّئيسيّة للنقاشات هي العلاقة بين حقّ الأمم في تقرير المصير، والقوميّة، والأُمَمِيَّة، حيث ربطت أطروحة لينين الثَّورة الاشتراكيّة بحقّ الأمم المضطهدة في تقرير المصير، وأصبح هذا المفهوم - لا سيَّما تأكيده عام

١٩١٦ على أنّ «الاشتراكيّة المنتصرة يجب أن تحقّق ديمقراطيّة كاملة، وبالتّالي لا تحقّق المساواة الكاملة بين الأمم فحسب، بل تُفعّل أيضاً حقّ الأمم المضطهدة في تقرير المصير؛ أي الحقّ في الانفصال السّياسيّ الحرّ» - هذا حجر الزّاوية للعديد من النِّضالات المناهضة للاستعمار في أفريقيا، وآسيا، والشّرق الأوسط، وأبيا يالا.

فتمّ تفسير فكرة لينين إلى حدّ كبير على أنّها تدعو إلى إنشاء دول قوميّة مستقلّة كجزء من عملية التّحرير، ومع ذلك فقد أثارت هذه الفكرة جدلاً واسعاً؛ إذ حذّرت روزا لوكسمبورغ، على سبيل المثال من مخاطر تأثير القوميّة البرجوازيّة على الطّبقة العاملة بحجّة أنّ التّركيز يجب أن ينصب على توحيد البروليتاريّين في نضال طبقيّ أمميّ مشترك مناهض للإمبرياليّة. وبالنِّسبة للوكسمبورغ فإنّ الدّول القوميّة المستقلّة للشّعوب المضطهدة مثل البولنديّين لن تحلّ بالضّرورة الاضطهاد الطّبقي، وبدلاً من ذلك اقترحت أنّ الاستقلال الثّقافيّ، إلى جانب حركة موحّدة للطّبقة العاملة سيكون حلاً أفضل.

الاشتراكيّة في بلد واحد مقابل الثّورة الدّائمة:

ركّز نهج ستالين على تحقيق الاتّحاد السُّوفييتيّ للاشتراكيّة داخل حدوده قبل السّعي وراء ثورات اشتراكيّة دوليّة أوسع، فبعد ثورة أكتوبر، رأى ستالين بأنّه نظراً للصّعوبات الّتي واجهها الاتّحاد السُّوفييتيّ - بما في ذلك التّخلّف الدّاخليّ، والمجاعات، ومجتمعه الزّراعيّ الإقطاعيّ إلى حدّ كبير - كان من الضّروريّ إعطاء الأولويّة لتصنيع روسيا. ووفقاً للنّظريّة الماركسيّة كانت البروليتاريا الصّناعيّة شرطاً أساسيّاً لنجاح الثّورة الاشتراكيّة، واعتقد ستالين وتبنّت معظم الحركات الثّوريّة، وحركات التّحرّر الوطنيّ على مدار القرن العشرين مفهوم لينين، معتبرةً إنشاء دول قوميّة مستقلّة جزءاً من الثّورة الاشتراكيّة العالميّة.

شكّلت أفكار لينين أيضاً الأساس للاعتراف بحقّ تقرير المصير في القانون الدّوليّ، ولاحقاً في اتّفاقيّات الأمم المتّحدة بعد الحرب العالميّة الثّانية.

ومع ذلك غالباً ما كان الاتّحاد السُّوفييتيّ نفسه ينتهك مبادئ تقرير المصير هذه، حيث تُظهر التّدخّلات القمعيّة في المجر عام ١٩٥٦، وربيع براغ عام ١٩٦٨، واحتلال أفغانستان عام ١٩٧٩ هذا التّناقض، كما تكشف هذه الإجراءات كيف كان الدّعم السُّوفييتيّ للتّحرّر الوطنيّ مشروطاً في كثير من الأحيان، ويستند إلى مصالح جيوسياسيَّة بدلاً من التزام إيديولوجيّ ثابت. ففي حالة الكفاح الكرديّ من أجل تقرير المصير على سبيل المثال لم يقدّم الاتّحاد السُّوفييتيّ أيّ دعم مباشر؛ ممّا يعكس هذا النَّهج الانتقائيّ.

أنّ الاتّحاد السُّوفييتيّ بحاجة أوّلاً إلى تهيئة الظّروف الماديّة للاشتراكيّة من خلال تحديث اقتصاده، والتَّغلُّب على الهياكل الإقطاعيّة في روسيا والجمهوريّات السُّوفييتيّة.

علاوةً على ذلك، تأثّر موقف ستالين بفشل الثَّورات الاشتراكيّة المتوقّعة في الدّول الصِّناعيَّة مثل ألمانيا، حيث قُمعت الحركات أو خُذلت من قبل القوى الاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة، بالإضافة إلى ذلك، واجه الاتّحاد السُّوفييتيّ تهديدات مستمرّة من الدّول الرَّأسماليّة والإمبرياليّة الّتي شنّت أشكالاً مختلفة من الحروب، والعدوان ضدّه، ردّاً على ذلك، تبنَّى ستالين استراتيجيَّة التَّركيز على بناء الاشتراكيّة داخل الاتّحاد السُّوفييتيّ بدلاً من محاولة نشر الثَّورة في الخارج قبل الأوان. وتعارض هذا الرَّأي مع نظريّة تروتسكي عن «الثَّورة الدَّائمة»، الّتي دعت إلى صراع طبقيّ دوليّ مستمرّ ضدّ الرَّأسماليّة.

شكّل نهج ستالين المركزيّ، والبيروقراطيّ علاقات الاتّحاد السُّوفييتيّ مع الحركات الشّيوعيّة، والاشتراكيّة الأخرى. ففي حالة الثَّورة الإسبانيَّة، على سبيل المثال، فرض الاتّحاد السُّوفييتيّ شروطاً صارمة للدّعم، بما في ذلك المطالبة بسحب النّساء من الخطوط الأماميَّة وحلّ بعض الوحدات العسكريّة، وكان الدَّعم بالأسلحة محدوداً، وغالباً ما كانت المصالح الجيوسياسيَّة للاتّحاد السُّوفييتيّ تملي مستوى مشاركته في هذه الصِّراعات الدُّوليَّة، ممّا أدَّى إلى حالات كان فيها الدَّعم مشروطاً أو مسحوباً بالكامل.

كما يعكس حلّ الكومنترن (الأُمَمِيَّة الشّيوعيّة) إعطاء ستالين الأولويَّة لمصالح الدّولة على المثل الأُمَمِيَّة، ويُعدّ إضعاف التَّنظيم النِّسائيّ المستقلّ داخل الاتّحاد السُّوفييتيّ مثالاً على ذلك. وبالنَّظر إلى واقع الاتّحاد السُّوفييتيّ، كانت النّساء في البداية يلعبن دوراً رائداً في المناقشات الإيديولوجيّة، ولكن بمرور الوقت، كان هناك تراجع بطيء في دور الأُمَمِيَّة النِّسائيّة. ومن الواضح أنّ قرار نقل مركز أمانة المرأة من جنيف، حيث كانت نشطة للغاية، إلى موسكو قد أثّر على المنظَّمات النِّسائيّة، في حين كانت المنشورات في البداية ذات طابع إيديولوجيّ في المقام الأوّل وتتعلّق بتحرير المرأة، فقد أصبحت بعد ذلك أكثر تركيزاً على صورة المرأة ودورها كأمٍّ في المنزل، وواجباتها. وقد تمّ تهميش شخصيّات رئيسيّة مثل ألكسندرا كولونتاي، وهي صوت رائد في الحركة النّسويَّة، والنَّظريّة الاشتراكيّة، حيث أُرسلت كولونتاي إلى النّرويج كدبلوماسيّة بحجّة تكليفها بمهام أكثر «أهمّيَّة»، وأضعفت هذه الخطوة إمكانيّة التَّنظيم النِّسائيّ المستقلّ داخل الكومنترن، ممّا أدَّى إلى إضعاف أدوار المرأة في القيادة، وتقليل تأثيرها على الاستراتيجيّة الثَّوريّة.

تمّ حلّ الكومنترن بالطَّريقة التَّالية: فقد أوضح ديميتروف، أحد ممثلي الاتّحاد السُّوفييتيّ، أنَّهم سيمنحون المزيد من المبادرة، والاستقلاليّة لتطوير الأحزاب الأعضاء في سياقاتها الوطنيّة المحدَّدة.

ونتيجة لذلك قرّروا حلّ الكومنترن، أو الأُمَمِيَّة الثَّالثة. ومع ذلك حدث هذا في مايو ١٩٤٣، خلال المرحلة الأكثر تحدّياً من الحرب العالميّة الثَّانية، عندما كانت تتطوّر نقاشات حول التَّحالفات مع الولايات المتَّحدة وبريطانيا لهزيمة فاشيَّة هتلر كان يُعتقد على نطاق واسع أنّ القوى الإمبرياليّة طلبت من

الاتّحاد السُّوفييتيّ عرقلة التَّنظيم الثَّوريّ الّذي قد يشكّل تهديداً لها أيضاً، لذلك فمن المرجّح أنّ ستالين قدّم تنازلات للولايات المتَّحدة وبريطانيا لترسيخ التَّحالف ضدّ هتلر.

بعد ستالين، وفي عهد نيكيتا خروتشوف تجدّدت النّقاشات حول القوميّة، والأُمَمِيَّة، والاتّجاه المستقبليّ للحركات الاشتراكيّة. ففي المؤتمر العشرين للحزب الشّيوعيّ تمّ الاعتراف بأنّه يمكن أن تكون هناك مسارات مختلفة نحو الاشتراكيّة اعتماداً على الخصائص، والظّروف الوطنيّة المحدَّدة. وأدَّى هذا إلى إحياء الأُمَمِيَّة السُّوفييتيّة؛ حيث قدّم الاتّحاد السُّوفييتيّ دعماً متجدّداً لمختلف الحركات المناهضة للاستعمار والاشتراكيّة في جميع أنحاء العالم.

في الوقت نفسه تبنّى الاتّحاد السُّوفييتيّ نظريّة التّعايش السّلميّ، ولا سيَّما خلال الحرب الباردة عندما شكّل سباق التّسلّح النّوويّ تهديداً مستمرّاً بالدّمار العالميّ. فقد أكّد خروتشوف أنّه لا يوجد سوى خيارين: التّعايش السّلمي، أو الحرب الأكثر تدميراً في التَّاريخ، ولا يوجد طريق ثالث. فكان هذا التّوازن يعني الحفاظ على المكاسب الاشتراكيّة للاتّحاد السُّوفييتيّ مع تجنّب صراع كارثي مع القوى الإمبرياليّة.

ومع ذلك، انتقد الحزب الشّيوعيّ الصّينيّ وشخصيّات مثل تشي غيفارا هذا النَّهج، إذ اعتبروه خيانة للثَّورة، ففي خطابٍ ألقاه أمام الأمم المتَّحدة، أكَّد غيفارا أنَّه بالنّسبة للماركسيّين، لا ينبغي أن يعني التّعايش السّلميّ بين الأمم التّعايش بين المُستغِلّين والمُستغَلّين، أو بين الظّالمين والمظلومين، ورأى أنّ استراتيجية الاتّحاد السُّوفييتيّ مفرطة في الحذر، ممّا يقوّض النِّضال الثَّوريّ لصالح الواقعيّة السّياسيّة.

صداقة الشّعوب:

على الرّغم من التّعقيدات، فقد ظهرت ثقافة «صداقة الشّعوب»، ممَّا عزّز الدَّعم، والتَّضامن الدّوليّين مع الشّعوب المضطهدة ونضالات التَّحرير، الأمر الّذي غيّر طريقة تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض، وانعكست هذه الثَّقافة في جهود دعائيّة مختلفة روجت لـ»الأخوة» الاشتراكيّة. وبينما كنتُ أبحث عن مجموعة متنوّعة من الصّور لتوضيح هذا المفهوم، وجدت أنّ معظم التَّمثيلات تركّز على الشَّخصيات الذُّكوريّة مع نقص ملحوظ في تمثيل صورة المرأة العاملة.

كما تحدّى مفهوم صداقة الشّعوب هذا الإيديولوجيّات القوميّة، والعنصريّة السَّائدة في الرَّأسماليّة. وفي هذا السِّياق تمَّ تطوير نماذج جديدة للدَّولة الاشتراكيّة الفيدراليَّة؛ حيث لم تُعتبر الأمَّة مجرَّد أساس للدَّولة، وقدّم الاتّحاد السُّوفييتيّ مفهوم «الشَّعب السُّوفييتيّ»، ممّا أدَّى إلى خلق هويَّات تتجاوز العرق والدّين، مع التَّركيز على القرابة، والانتماء الجماعيّ. فعلى سبيل المثال: سعت يوغوسلافيا إلى تطوير لغة مشتركة، وهي اللغة الصّربيّة الكرواتيّة، كجزء من هذه الرّؤية الأُمَمِيَّة للوحدة.

ومع ذلك بقيت مشكلة مهمّة؛ وهي هيمنة قوميّات معيّنة ضمن هذه الأطر، فمن النَّاحية الإيديولوجيّة، كانت رؤية الأُمَمِيَّة مقنعة، لكنّ تطبيقها كشف في كثير من الأحيان عن تباينات. ففي الاتّحاد السُّوفييتيّ على سبيل المثال هيمنت الثَّقافة، واللغة الرّوسيَّة، بينما كانت الهيمنة الصّربيّة واضحة في يوغوسلافيا، كما ساهم هذا الإهمال للثَّقافات، واللغات، والتَّاريخ الوطنيّ المتنوّع في الصِّراعات الّتي نشأت بعد انهيار الاتّحاد السُّوفييتيّ، حيث أدَّى عدم كفاية تطبيق مبادئ تقرير المصير إلى توتّرات قوميّة في حقبة ما بعد عام ١٩٩٠.

من الأهمّيَّة بمكان أيضاً إدراك التّباين الشَّديد بين التَّجارب في الدّول الاشتراكيّة وتلك الّتي في الدّول الرَّأسماليّة، حيث كان الفصل العنصريّ، وسياسات شبيهة بنظام الفصل العنصريّ أمراً شائعاً، فقد شجّع الاتّحاد السُّوفييتيّ، والدّول الاشتراكيّة الأخرى الزّواج بين الثّقافات، والتّعليم المختلط، ودعمت رسميّاً المساواة في الحقوق بين مختلف الجماعات العرقيّة والثَّقافيّة، ممَّا عزّز التّعاون والعيش الجماعيّ بين الشّباب والعمَّال.

عند التَّفكير في هذه المفاهيم اليوم، ولا سيَّما فيما يتعلَّق بـ ٣٠٠ عام من الوحدة بين أوكرانيا، وروسيا، والأخوّة الّتي تمَّ التَّرويج لها ينبغي النَّظر إلى كيفيَّة تطبيق هذه الإيديولوجيّات عمليَّاً، فمن الضّروريّ تحليل ما إذا كان النَّهج الرّوسيّ المهيمن قد ساهم في الصِّراعات الحاليّة، مع الاعتراف أيضاً بالدَّور الّذي لعبته الدّول الصِّناعيَّة في تأجيج هذه التوتّرات.

وفي نهاية المطاف كان مبدأ «صداقة الشّعوب» يعتبر قيمة راسخة في دساتير الدّول الاشتراكيّة، ومدمجة في الحياة اليوميّة، ففي قاموس ألمانيا الشّرقيّة التّربويّ، تمّ تعريف «صداقة الشّعوب» من حيث المصلحة المشتركة، ونضال الطّبقة العاملة ضدّ الاستغلال والقمع، مع التّأكيد على الاحترام المتبادل، والاعتراف بالاستقلال الذّاتيّ والسّيادة الوطنيّين، والتّعاون عبر الأبعاد السّياسيّة، والاقتصاديّة، والثّقافيّة، ومع ذلك فإنّ التّفكير في هذه المفاهيم يستلزم فحصاً نقديّاً لكيفيّة تطبيقها في الواقع، ولا سيّما في ضوء التوتّرات المستمرّة المتجذّرة في النّهج المهيمن التّاريخيّ.

تأسيس منظّمات جماهيريّة أمميّة على المستويات الدُّوليّة والوطنيّة، والمحلّيّة:

ومن الأمثلة البارزة الأخرى على التّنظيم الجماهيريّ الدّيمقراطيّ الاتّحاد الديمقراطيّ النِّسائيّ الدّوليّ الّذي تأسّس في باريس عام ١٩٤٥ كمنظّمة جامعة للجماعات النِّسائيّة المناهضة للفاشيّة. وبعد أن جرّمت الحكومة الفرنسيَّة أنشطته، نُقلت أمانة الاتّحاد إلى برلين الشّرقيّة، ولعبت هذه المنظّمة دوراً حاسماً في دعم النِّضالات المناهضة للاستعمار من أجل المرأة في جميع أنحاء العالم، وبحلول عام ١٩٨٨، كان قد انضمَّ إليها ١٤٢ منظّمة كأعضاء من ١٢٤ دولة من جميع القارَّات.

ظهرت أشكال مختلفة من المنظّمات الجماهيريَّة الدّيمقراطيَّة خلال هذه الفترة بما في ذلك الرَّابطة الدُّوليَّة للمحامين الدّيمقراطيّين، والاتّحاد الدّوليّ للمقاومين، والمنظّمات الّتي تمثل الأمميّين الّذين شاركوا في الألوية في إسبانيا، كما انضمّ الأنصار أيضاً إلى هذه الاتّحادات، إلى جانب المنظّمة الدُّوليَّة للصّحفيين، والاتّحاد الدّوليّ للطّلاب، والاتّحاد العالميّ للعاملين العلميّين، ومجالس السَّلام العالميّة، من بين منظّمات أخرى.

عند النَّظر في إنشاء نظام كونفدرالي لتنظيم مختلف قطاعات المجتمع، وتعزيز الرَّوابط بينها، من الضّروريّ دراسة السّياسات، والأساليب الّتي استخدمتها هذه المنظّمات الجماهيريَّة البيروقراطيّة. فما هي مدى فعاليّة تحقيقها لأهدافها، وأين قصّرت في أنشطتها؟

كان أحد التَّعبيرات العمليّة للتّضامن الدّوليّ هو إنشاء روابط الصَّداقة الدُّوليَّة، الّتي لم تُنظّم على المستوى العالميّ فحسب، بل داخل الدّول الاشتراكيّة أيضاً. لقد تأسَّست هذه الرّوابط على المستويين الوطنيّ والمحلّيّ، بهدف حشد المجتمع

من أجل التَّضامن الدّوليّ دعماً للنّضالات ضدّ الإمبرياليّة والاستعمار، ففي حالة جمهوريّة ألمانيا الدّيمقراطيَّة، سعت هذه الحركة أيضاً إلى الحصول على اعتراف دوليّ، لكن لم يتمّ الاعتراف بها رسميّاً كدولة.

تمّ التَّرحيب في جمهوريَّة ألمانيا الدّيمقراطيَّة بوفود من مختلف البلدان، وأُرسلت كتائب صداقة إلى دول تقع في المقام الأوّل في أفريقيا، وآسيا وأبيا يالا. وسافرت هذه

الكتائب إلى دول مثل أنغولا، وموزمبيق، وإثيوبيا وزيمبابوي، ومالي، ونيجيريا، وكوبا، وتشيلي ونيكاراغوا، وفيتنام، وكمبوديا، حيث تمّ تنظيم أكثر من ٦٠ كتيبة صداقة في أكثر من ٢٦ دولة، بمشاركة حوالي ٥٠٠٠ شابّ وشابَّة. وكان الغرض من هذه الكتائب هو مشاركة الحياة الجماعيّة، والعمل جنباً إلى جنب مع المجتمعات المحلّيّة، وتعزيز التَّعلّم المتبادل حول الثَّقافات، والمجتمعات المختلفة. لقد احتفظ المشاركون بمذكّرات جماعيّة تعكس تجاربهم، حيث كتب أحد أعضاء كتيبة شبابيّة من شباب ألمانيا الشّرقيَّة الدّيمقراطيَّة الحرَّة إلى أنغولا: «نشارك في اجتماع كهذا لأوّل مرّة نشعر فيه بعمق بروح الأُمَمِيَّة المشتركة في قلوبنا»، وهذا بحدِّ ذاته يسلّط الضَّوء على أهمّيَّة الأُمَمِيَّة في خلق روح مشتركة، وجهد جماعيّ في النِّضال من أجل التَّحرير، كما نظَّمت الوفود، ونسَّقت حملات تضامن مختلفة على المستوى الماليّ، والسّياسيّ لحركات مختلفة.

من المهمّ الإشارة إلى أنّ هذه الوفود، وحملات التَّضامن الدُّوليَّة لم تكن مموَّلة من الدّولة، بل كانت مموّلة جماعيّاً، ومدعومة ماديّاً من المجتمع، وشمل مسار آخر للتَّضامن العمليّ حملاتٍ تدعو إلى إطلاق سراح السّجناء السّياسيّين بمن فيهم شخصيَّات مثل ريس كوربالان من الوحدة الشَّعبيَّة في تشيلي، وأنجيلا ديفيس، ونيلسون مانديلا، كما أدّت الحركات المناهضة لديكتاتوريّة بينوشيه في تشيلي، ونظام الفصل العنصريّ في جنوب إفريقيا إلى إنشاء لجان تضامن على المستويات المحلّيّة، وسهّلت هذه اللجان التّدريب المهنيّ، والتَّعليم المستمرّ لأفراد من دول عديدة ممَّن نجحوا في النِّضال ضدّ الاستعمار. كما وفّرت العلاج الطّبّيّ للمقاتلين من أجل الحرّيَّة، والنَّاشطين في حركات التَّحرُّر، وكلّ ذلك من خلال صناديق التَّضامن. وإلى جانب هذه الجهود الشعبيَّة أُنشئت مؤسسات أكثر رسميّة في الاتّحاد السُّوفييتيّ ودول اشتراكيّة أخرى لدعم إنهاء الاستعمار؛ حيث هدفت جامعة الصَّداقة بين الشّعوب في روسيا، الّتي تأسست في موسكو عام ١٩٦٠ إلى مساعدة الدّول الّتي تحرَّرت من التَّبعيَّة الاستعماريَّة. وقد ركَّزت جامعة باتريس لومومبا بشكل خاصّ، والّتي سمّيت على اسم زعيم الاستقلال الكونغوليّ الّذي اغتيل في مؤامرة لحلف النَّاتو، على تعليم الشّباب من آسيا وأفريقيا وأبيا يالا، وخاصَّة أولئك الّذين ينتمون إلى أسر فقيرة.

وقد هدفت الجامعة إلى تدريب متخصّصين مؤهّلين في مختلف المجالات، بما في ذلك الهندسة، والتَّاريخ، وفقه اللغة، والطّبّ، والزّراعة، والعلوم، والقانون، والاقتصاد.

وبحلول عام ١٩٧٥ تخرج أكثر من ٤٢٥٠ طالباً من ٨ دول خارج الاتّحاد السُّوفييتيّ من جامعة لومومبا، وأصبح العديد من هؤلاء الخرّيجين قادة اشتراكيّين، أو رؤساء لبلدانهم، بمن فيهم محمود عباس من فلسطين، وفاطمة

محمود من السّودان، وتيميريون فيمينينس من كولومبيا المرتبطين بالقوّات المسلّحة الثّوريّة الكولومبيَّة (فارك)، ودانيال أورتيغا من نيكاراغوا مثال بارز آخر. في حين أنّ نتائج هذا التَّعليم كانت مختلطة، مع نتائج إيجابيّة، وسلبيَّة، فقد وفَّر الاتّحاد السُّوفييتيّ بنية تحتيَّة لدعم نضالات التَّحرُّر الوطنيّ للعديد من البلدان

شملت حملات التَّضامن مع أنجيلا ديفيس في الحزب الدّيمقراطيّ الكبير مبادرة «مليون وردة لأنجيلا»، حيث كتب تلاميذ المدارس بطاقات بريديَّة يعبّرون فيها عن دعمهم لها. كما كرّم الاتّحاد السُّوفييتيّ أكثر من ٧٢٠٠٠ فرد ومنظَّمة بوسام صداقة الشّعوب لمساهماتهم في تعزيز الصَّداقة، والتّعاون الدّوليّين.

بالإضافة إلى ذلك ساعدت العديد من الأفلام الوثائقيّة والمجلات والمنشورات الأخرى الّتي أنتجتها الدّول الاشتراكيّة في نشر المعرفة حول المجتمعات والنِّضالات الاجتماعيَّة في جميع أنحاء العالم، ممَّا عزّز ثقافة أمميّة.

إخفاقات وعيوب النَّموذج السُّوفييتيّ:

ومع ذلك، وكما ذكرنا سابقاً فإنّ هذه الرِّواية ليست رواية تقدّم مستمرّ؛ فقد ظهرت تناقضات عديدة، وعلى الرّغم من الأهداف الطّموحة لم يتمكّن الاتّحاد السُّوفييتيّ، ولا النِّظام الاشتراكيّ من تحقيق الهدف الأساسيّ المتمثّل في ثورة اشتراكيّة عالميّة، بل انهار في نهاية المطاف. ومنذ ذلك الحين نشهد صعوداً للاستغلال الرَّأسماليّ، والقوميّة، والأصوليَّة الدّينيَّة على نطاق عالميّ، وعلى العكس من ذلك، استمرَّ البحث عن الاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة، والنِّضال من أجلها، بالإضافة إلى أمميّة جديدة، في النّمو، ولا سيَّما في مناطق مثل كردستان، والعديد من دول أبيا يالا.

كانت أحدى أهمّ العقبات الّتي تحول دون تحقيق نهج استراتيجيّ، وتكتيكيّ مشترك، وناجح في نظريّة، وممارسة الأُمَمِيَّة الثّوريّة هو نموذج الحداثة الرَّأسماليّة، المتجذّر في الدُّولة القوميّة، والتَّصنيع ورأسماليّة الدُّولة، فضلاً عن إيديولوجيّات القوميّة، والدّينيَّة، والوضعيَّة والتَّمييز الجنسيّ. وقد أثّرت هذه

المكوّنات للحداثة الرَّأسماليّة بشكل عميق على الثَّوريّين الّذين زعموا أنَّهم يحاربون النِّظام الرَّأسماليّ، فبدلاً من بناء بدائل اشتراكيّة، فقد تكرَّرت أساليبهم، وسياساتهم، وعادت بهم إلى المركزيَّة الّتي تتّسم ببيروقراطيّة حزبيّة جامدة، واقتصاد مخطّط مركزيّاً، وانعدام الدّيمقراطيَّة، وغياب حرّيَّة الفكر.

غالباً ما تمَّ تعريف التَّضامن فقط من حيث الفوائد الّتي تعود على الاتّحاد السُّوفييتيّ، ممَّا أدَّى إلى استمرار المنافسة مع الكتلة الغربيَّة بدلاً من تطوير بدائل حقيقيّة.

تجلّى هذا الموقف التّنافسيّ في مجالات العسكرة وتدمير البيئة، حيث أدّى نموذج النُّمو، والتَّصنيع المستمرّ الّذي يُنظر إليه على أنّه «تقدّم»، في الواقع إلى تآكل التّنوّع داخل المجتمعات، وإهمال الإمكانات الثّوريّة الإبداعيّة اللازمة لبناء ديمقراطيّة شعبيَّة. كما أثّر هذا السَّعي الدَّؤوب نحو النُّموّ سلباً على التّنوّع البيولوجيّ، والنّظم البيئيّة المختلفة.

وأخيراً فإنّ الاعتقاد بإمكانيّة تحقيق المساواة بين الجنسين في الاشتراكيّة بمجرَّد المساواة في الحقوق والمشاركة في الحياة العامّة، والسِّياسة، والتّعليم، والإنتاج هو اعتقاد غير كافٍ، ولن ينجح في تفكيك الهياكل، والعقليّات الأبويّة داخل الأسر، والمجتمعات، والأحزاب الطَّليعيَّة، والمنظَّمات الجماهيريَّة، والحركات الأوسع. فلا يكفي التَّأكيد على أنّه «ينبغي على النّساء المشاركة»، بل يجب أن يكون هناك جهد، وبرنامج، ونضال حقيقيّ، ومنظَّم، ومستقلّ يهدف إلى تحقيق المساواة الحقيقيّة؛ حيث تشمل أسباب انهيار الاتّحاد السُّوفييتيّ، وهزيمة الثَّورة الصِّينيَّة، وعدم تطوّر نضال المرأة، والهياكل المستقلَّة.

الخلاصة:

في الختام، من الضّروريّ إدراك الحاجة إلى فهم جديد للعولمة في القرن الحادي والعشرين. واستناداً إلى التَّجارب والتقييمات السّابقة يجب علينا تقييم النّماذج الّتي تقوم عليها نظريّة العولمة، وممارستها تقييماً نقديَّاً. وفي هذا السِّياق يقدّم نموذج الحداثة الدّيمقراطيَّة، كما صاغه السَّيِّد عبد الله أوجلان، منظوراً عولميّاً يعرض بدائل لعقبات الحداثة الرَّأسماليّة، ويؤكّد هذا النَّهج على بناء مجتمعٍ اقتصاديّ، ومجتمع بيئيّ، وصناعيّ، وكونفدراليّة ديمقراطيّة، وكلّها تستند إلى تحرير المرأة على المستويات المحلّيّة، والإقليميّة، والعالميّة.

نستنتج من تجارب القرن العشرين أنّه من الواضح أنّ فهم العولمة لا يمكن أن يرتكز على عقليَّة الدُّولة القوميّة، بل ينبغي أن يكون متجذّراً في روح مشتركة للأمَّة الدّيمقراطيَّة تحتفي بالتّنوّع وحرّيَّة تجمع الأفراد، وكذلك المجتمعات الاجتماعيَّة، والثَّقافيّة، والعرقيّة الّتي توحّد جميعها حياتها، وعملها، ونضالاتها لبناء مجتمع خالٍ من الاستغلال، قائم على التَّضامن، والعدالة، والكرامة، والأمل.

من الأهمّيّة بمكان تبنّي نهج إبداعيّ، وجدليّ لمعالجة التَّناقضات، وخطوط النِّقاش المختلفة الّتي نواجهها. وغالباً ما كان يعيق الاعتماد المسبق على المناهج الحصريَّة، والدّوغمائيّة القوى التَّقدُّميَّة من التَّوحّد في نضال مشترك ضدّ خصوم مشتركين. وقد منع هذا التَّشرذم النَّاس في جميع أنحاء العالم عبر مختلف المجالات، والسِّياقات من العمل معاً نحو هدف مشترك بروح موحّدة. وأودّ أن أختتم باقتباسين:

الاقتباس الثَّاني من أقوال الشَّهيدة نودم (أوتا شنايدربانجر)، عام ٢٠٠٤:

«تماماً كما في حركات التَّحرُّر الوطنيّة منذ عام ١٩٦٨، يمكن لفكرة الكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة أن تهزّ العالم، لذا أودّ أن أكون جزءاً من الطَّريق إلى هناك.»

لاقتباس الأوَّل من رسالة كتبتها الشَّهيدة روناهي (أندريا وولف) عام ١٩٩٥، عندما قرّرت الانضمام إلى الكفاح الأمميّ لحزب العمَّال الكردستانيّ في كردستان:

«لقد أُعيد تشكيل مفهومي عن الأُمَمِيَّة الّذي كان قائماً حتَّى الآن على ترتيب تخطيطي: أوَّلاً، بناء الحركة هنا (في ألمانيا)، ثمّ مع الآخرين. ولكن إذا كنَّا أمميّين، فيمكننا، ويجب علينا القيام بالأمرين معاً، حيث يمكننا المشاركة في الكفاح في جزء آخر من العالم من أجل التَّعلُّم. فلا يتوقَّف أفقنا عند حدودنا الوطنيّة، خاصَّة وأنّنا كأشخاص ننتمي إلى عواصم أوروبّيّة لا يمكننا فهم وضعنا حقّاً إلّا إذا نظرنا إلى أنفسنا من خلال نظرة الآخرين.»

٤ - الثَّورة الإسبانيَّة:

هنـاك فصـلٌ آخـر مهـمّ فـي تاريـخ الأُمَمِيَّـة هـو الثَّـورة الإسـبانيَّة، الّتـي يُشـار إليهـا أحيانـاً بالحـرب الأهليَّـة الإسـبانيَّة. لقد كان زمـن كفـاحٍ أثبتت فيـه القـوى الدّيمقراطيَّـة فـي ذلـك الوقت إمكانيّـة التَّنظيم الذَّاتـيّ الدّيمقراطـيّ، والتَّحـرُّري للمجتمـع، بينمـا تضمَّنـت الثَّـورة الإسـبانيَّة نجاحـاتٍ وإخفاقـاتٍ وتناقضـات، فقد حشـدت المجتمـع، وجمعـت ثـوَّاراً مـن حـركاتٍ، وأجـزاءٍ مختلفـة مـن العالـم. ولـم يكـن الصِّـراع الّـذي دار فـي إسـبانيا بيـن عامـي ١٩٣٦ و١٩٣٩ مجـرَّد صـراعٍ ضـدّ الفاشـيَّة المحلّيّـة، بـل كان أيضـاً جـزءاً مـن نضـالٍ عالمـيّ أوسـع ضـدّ الأنظمـة الفاشـيَّة فـي البرتغـال، وإيطاليـا، وألمانيـا. وقـد بـرزت هـذه الثَّـورة كمنـارة أملٍ للحرّيَّـة، ومثـالٍ لا يُنسـى علـى الأُمَمِيَّـة. لقـد كانـت هـذه الثَّـورة عنصـراً مهمّـاً فـي تاريـخ البشـريّة لمقاومـة نمـط الحيـاة الدّيمقراطـيّ، ومـا يـزال إرثهـا محسوسـاً حتَّـى اليـوم، وسيسـتمرّ فـي المسـتقبل.

لقـد كانـت تجربـة رائعـة فـي الأناركيّـة، حيـث تولَّـى الأنارشـيّون أدواراً حكوميَّـة، وعملـوا كـوزراء بينمـا كانـوا يرعـون حـركات شـعبيَّة لمواجهـة تقـدّم فرانشيسـكو فرانكـو الفاشـي. تُعـد الثَّـورة الإسـبانيَّة مثـالاً عميقـاً علـى الأُمَمِيَّـة الّتـي اتَّخـذت أشـكالاً مختلفـة، ولعـلّ أشـهرها الألويـة الدُّوليَّـة، حيـث اجتمعـت منظّمـات وأفـراد مـن جميـع أنحـاء العالـم لدعـم النِّضـال، وتـمّ إنشـاء شـبكة واسـعة مـن التَّضامـن المـادّيّ لإرسـال مـوارد حيويّـة إلـى إسـبانيا.

بالإضافـة إلـى ذلك نظَّمـت العديد مـن المجموعات حـول العالـم نفسـها لدعم الثَّـورة الإسـبانيَّة.

علـى الرّغـم مـن أنّـه يُقـال غالبـاً أنّ «الثَّـورة الإسـبانيَّة قـد هُزمـت»، إلّا أنّ الكثيريـن يـرون بـأنّ إرثهـا لـم ينتـهِ حقّـاً، فبعـد عـام ١٩٣٩، عانـت إسـبانيا مـن دكتاتوريّـة اسـتمرَّت ٣٦ عامـاً تحـت حكـم فرانكـو. لقـد نشـأ والـداي فـي ظـلّ هـذا النِّظـام القمعـي، وعـاش أجدادنـا بمـن فيهـم جدتـي البالغـة مـن العمـر ٩٩ عامـاً، خـلال الحـرب الأهليَّـة الإسـبانيَّة، ومـا تـزال آثـار كلّ مـن الإيديولوجيّـة الفاشـيَّة، والنِّضـال الثَّـوريّ واضحـة فـي المجتمـع الإسـبانيّ المعاصـر. فهـي ليسـت مجـرَّد أصـداء للماضـي. فـي أعقـاب الثَّـورة هدفـت الدّكتاتوريّـة إلـى محـو ذاكـرة تاريـخ المقاومـة، وإضعـاف المجتمـع مـن خـلال قمـع الثَّقافـة السّياسـيّة والتّعليـم، وإفقـار السّـكَّان.

وقـد أدَّى ذلـك إلـى نقـص عـامّ فـي الوعـي بالهويَّـة والتَّاريـخ، ممّـا أدَّى إلـى إبعـاد النَّـاس عـن جذورهـم.

مـع إقرارنـا بتأثيـر الدّكتاتوريّـة، فإنّنـا نُقـرّ أيضـاً بوجودنـا فـي روج آفـا اليـوم وبالنِّضـالات المسـتمرّة للحـركات الثَّوريّـة فـي كاتالونيـا وقشـتالة وإقليـم الباسـك ومناطـق أخـرى كجـزء مـن هـذا النِّضـال المسـتمرّ.

مـن الأمثلـة البـارزة علـى الأُمَمِيَّـة الّتـي تشـكّلت خـلال الثَّـورة الإسـبانيَّة والّتـي مـا تـزال مسـتمرّة

حتَّى يومنا هذا الحرب في يوغوسلافيا وحركة ١٥ مارس. ففي الأولى، سافر ما بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ متطوّع بمن فيهم أنارشيّون، وشيوعيّون، ونقابيّون، وشباب ثوريّون، من إسبانيا للقتال في أوّل منطقة يتمّ تحريرها في أوروبَّا. وعلى الرّغم من أنّ حركة المقاومة ضمّت ما يقرب من ٨٠٠ ألف مقاتل ضعيف التّجهيز، إلّا أنّ مشاركة العديد من كوادر الثَّورة الإسبانيَّة كانت حاسمة في تطوير تكتيكات حرب العصابات.

ظهر مثال آخر على هذا النِّضال المستمرّ في عام ٢٠١١ مع التّعبئة الّتي أدّت إلى ظهور حركة ١٥M[٢]. على الرّغم من أنّ هذه الحركة استلهمت بوضوح من الثَّورة الإسبانيَّة، إلّا أنّها تبنّت في النِّهاية نهجاً إصلاحيّاً أكثر، كما تأثَّرت بشكل كبير بربيع الشّعوب (المعروف أيضاً باسم الرَّبيع العربيّ) الّذي بدأ في سوريا عام ٢٠١٢، ممَّا أدَّى إلى اندلاع ثورة روج آفا. تُظهر هذه الأحداث المترابطة أهمّيَّة الأُمَمِيَّة في النِّضال من أجل الحرّيَّة، ممّا يشير إلى أنّ الأفكار تتجاوز الحدود.

٢ كانت حركة مناهضة التقشف في إسبانيا، والتي يشار إليها أيضاً باسم حركة ١٥-M، وحركة الغاضبين، سلسلة من الاحتجاجات والمظاهرات، والاعتصامات ضد سياسات التقشف في إسبانيا، والتي بدأت في وقت قريب من الانتخابات المحلية، والإقليمية لعامي ٢٠١١و.

الخلفيَّة التَّاريخيّة:

لفهم الثَّورة الإسبانيَّة، من الضّروريّ إدراك أنَّها تتويج لسنوات من التَّنظيم الجماعيّ من قبل شعب إسبانيا، قبل أحداث عام ١٩٣٦ بفترة طويلة. وكما يشير الأنارشيّون الإسبان؛ فإنَّ الثَّورات لا تنشأ من العدم، بل تحتاج إلى أساسٍ متين وواسع النِّطاق. ولفهم أهمّيَّة الثَّورة الإسبانيَّة يجب أن نتعمّق في سياقها التَّاريخيّ، والّذي يعود إلى ما لا يقلّ عن ٧٠ عاماً، أي حوالي عام ١٨٦٨، عندما بدأت الأناركيّة تتجذّر لأوّل مرَّة في إسبانيا.

بدأ الأنارشيّون خلال هذا الوقت، في تنظيم العمَّال في المناطق الرّيفيّة، والقرى، وتعزيز الفكر الجماعيّ فيما يتعلّق بالاقتصاد، والتَّعليم؛ حيث بدأت حركة أنارشيّة منظَّمة في إسبانيا في أكتوبر ١٨٦٨ مع وصول فانيلي ممثّل فصيل باكون داخل الرَّابطة الدُّوليَّة للعمّال (IWA)، فيما عُرفت «الاشتراكيّة» الّتي قدمها فانيلي بالأناركيّة الجماعيّة.

وقد نمت الأناركيّة الإسبانيَّة على مدار الرُّبع الأخير من القرن التَّاسع عشر وحتَّى الرُّبع الأوّل من القرن العشرين، لتصبح حركة شعبيَّة جماهيريّة، لا مثيل لها في تجارب أخرى في العالم، فلم تدخل الاشتراكيّة الماركسيَّة إلى إسبانيا إلّا بعد ذلك بعامين، لكنَّها لم تكتسب الزَّخم نفسه، لا سيَّما بين العمَّال في برشلونة والأندلس. وبالمقارنة مع حركات الطَّبقة العاملة في دول أوروبَّا الغربية الأخرى، كان نشاط النَّقابات الصِّناعيَّة في إسبانيا أضعف نسبيَّاً، وبطيئاً، حيث مالت جهود النّقابات في كاتالونيا، نحو مواقف إصلاحيَّة، تركّز في المقام الأوَّل على السَّعي إلى وضع حدود لساعات العمل، وتحسين الأجور، وأوضاع العمّال.

في عام ١٩٣١، أُعلنت الجمهوريَّة الثَّانية، بدعم من الجبهة الشَّعبيَّة، وهو تحالف انتخابيّ لمنظَّمات يساريّة مختلفة، ومن ضمنها حزب العمَّال الاشتراكيّ الإسبانيّ، والحزب الشّيوعيّ الإسبانيّ، والجمهوريّون، بالإضافة إلى القوميّين الجاليكيّين، والكتالونيّين، وحزب العمَّال للتّوحيد الماركسيّ (POUM)، ونقابات عمّاليَّة أنارشيّة مثل الاتّحاد الوطنيّ للعمل (CNT). كما تأسّس الاتّحاد الوطنيّ للعمل في عام ١٩١٠ في برشلونة، ولعب دوراً حاسماً في تعزيز الأناركيّة في جميع أنحاء إسبانيا.

يعود أصول الجمهوريَّة الثَّانية إلى تأسيس الفرع الإسبانيّ لرابطة العمَّال الدّوليّة (IWA) بين عامي ١٨٧٠ و١٨٨١، ومنظّمتها اللاحقة، اتّحاد عمال المنطقة الإسبانيَّة، حيث أدخلت الجمهوريَّة الثَّانية العديد من الإصلاحات الّتي تهدف إلى تقليص السّلطات التَّقليديّة لطبقة ملّاكي الأراضي، والكنيسة الكاثوليكيّة، والجيش، وحظيت بدعم من الشّباب الرَّاديكاليّ، والمجتمعات الرّيفيَّة.

بـدأت الحـرب الأهليَّـة الإسـبانيَّة بانقـلاب عسـكريّ فـي يوليـو ١٩٣٦، ووقعـت فـي الاضطرابـات الاجتماعيَّـة، والاقتصاديّـة، والسّياسـيّة الّتـي ميَّـزت إسـبانيا فـي أوائـل القـرن العشـرين، حيـث بـدأ الانقـلاب مـن قبـل جنـود مـن الجيـش الإسـبانيّ فـي أفريقيـا فـي أغسـطس ١٩٣٦، عندمـا عبـر ١٤ ألـف جنـديّ إسـبانيّ، ومغربـيّ مضيـق جبـل طـارق، وبمجـرَّد وصولهـم إلـى شـبه الجزيـرة الأيبيريّـة، شـنَّ جيـش أفريقيـا حملـة وحشـيَّة باتِّجـاه مدريـد مسـتخدماً تكتيـكاتٍ عسـكريّة تذكّرنـا بالحـرب الاسـتعماريَّة الّتـي طُـوّرت خـلال حـرب العصابـات فـي الرّيـف: «هجمـات متفرقـة، وتحـرّك مسـتمرّ علـى جبهـات متعـدّدة»، إلـى جانـب «تطهيـر عرقـيّ منهجـيّ» كوسـيلة لفـرض النِّظـام.

وفـي العـام ذاتـه، بـدأت إيطاليـا، وألمانيـا فـي إرسـال الأسـلحة، والطّائـرات، والقـوَّات لدعـم المتمرّديـن، حيـث سـاهمت إيطاليـا بأكثـر مـن ٧٠ ألـف جنـديّ. فقدّمـت الدّولتـان مئـات مـن قطـع المدفعيّـة، والمركبـات القتاليّـة، والطّائـرات، والطّيارين، بمـا فـي ذلـك فيلـق كونـدور الألمانـيّ سـيّئ السُّـمعة.

والّـذي اكتسـب سـمعة سـيّئة لتورّطـه فـي قصـف غيرنيـكا فـي أبريـل ١٩٣٧. واقترحـت الحكومـة الفرنسـيَّة فـي أغسـطس ١٩٣٦ إلـى جانـب بريطانيـا والاتّحـاد السُّـوفييتيّ عقـد اتّفاقيَّـة عـدم تدخـل للحـدّ مـن دعـم المتمرّديـن؛ إلّا أنّ ألمانيـا، وإيطاليـا تجاهلتاهـا بشـكل صـارخ. ومـع تلقّـي المتمرّديـن تعزيـزات عسـكريّة، واجهـت الجمهوريَّـة نقصـاً حـادّاً فـي الأسـلحة. وبينمـا حقّـق الفاشـيّون تقدّمـاً فـي جميـع أنحـاء إسـبانيا، صمـدت مدينتـا مدريـد، وبرشـلونة لأطـول فتـرة، حيـث اعترفـت فرنسـا، وإنجلتـرا فـي ٢٧ فبرايـر ١٩٣٩ رسـميّاً بحكومـة فرانكـو. وبحلـول ١ أبريـل ١٩٣٩ وقّـع فرانكـو الاتّفاقيَّـة النّهائيّـة معلنـاً بذلـك ديكتاتوريّـة اسـتمرَّت حتَّـى عـام ١٩٧٥.

أدَّى القمـع والعنـف الّـذي مارسـته القـوَّات الفاشـيَّة خـلال الحـرب، وفـي ظـلّ الدِّيكتاتوريَّـة إلـى تعذيـب، وإعدامـات واسـعة النِّطـاق، حيـث قتلـت القـوَّات الفاشـيَّة عشـرات الآلاف مـن الأفـراد، وتخلّصـت مـن جثثهـم فـي مقابـر جماعيّـة. ولا تـزال إسـبانيا حتَّـى يومنـا هـذا مـن بيـن الـدّول الّتـي لديهـا أعلـى معـدّلات الاختفـاء القسـريّ فـي العالـم، ولا تتجاوزهـا فـي ذلـك إلّا كمبوديـا، ولا يـزال هـذا الواقـع غيـر معتـرف بـه إلـى حـدّ كبيـر، حيـث تواصـل الدّولـة الإسـبانيَّة إنـكاره، والتّقليـل مـن شـأنه، والتَّغاضـي عنـه، وغالبـاً مـا تلقـي باللـوم علـى أولئـك الّذيـن يسـعون جاهديـن لكشـف الحقيقـة.

نضال المرأة:

يُعدّ نضال المرأة داخل الثَّورة الإسبانيَّة ذا أهمّيَّة كبيرة، فبالنَّظر إلى تاريخٍ أطول من مقاومة المرأة، وتنظيم المجتمع فقد مثّلت التّجربة خلال الحرب الأهليَّة مثالاً هامّاً لنضال المرأة في جميع أنحاء العالم، وما تزال تلهم النّساء حتَّى اليوم.

النّساء الحرائر:

تأسّست منظَّمة «النّساء الحرائر» على يد ثلاث نساء أنارشيّات، ضمت كلّ من: الكاتبة لوسيا سانشيز ساورنيل، والصّحفيّة مرسيدس كومابوسادا، والدّكتورة أمبارو بوتش إي جاسكون، حيث أطلقن مجلة «النّساء الحرائر» في أبريل ١٩٣٦، قبل أشهر قليلة من الانتفاضة العسكريّة ضدّ الجمهوريَّة. وبينما كنّ يسعين للحصول على الدَّعم الماليّ والمادّيّ، رفضن بشدّة مقترحات التّعاون من الرِّجال.

على الرّغم من أنَّ «النّساء الحرائر» لم تكن المنظَّمة النِّسائيّة الوحيدة في ذلك الوقت، إلّا أنّها جمعت أكبر عدد من الأعضاء؛ حيث بلغ عدد أعضائها حوالي ٢٠,٠٠٠ عضوة موزّعات على ١٥٣ مجموعة في المناطق الجمهوريَّة. وفي أغسطس ١٩٣٧، أسَّسن الاتّحاد الوطنيّ للنِّساء الحرائر، الّذي صمّم كهيكل فيدراليّ يضمّ لجاناً محليَّة، وإقليميَّة، ووطنيَّة، حيث كان هدفهن تنمية قوَّة نسائيَّة واعية قادرة على العمل كطليعة للثَّورة، وسعين من خلال ذلك إلى رفع مستوى الوعي الثّقافي لدى النّساء، معتبرات ذلك أمراً أساسيّاً لتحريرهنّ، وتقدّم الثَّورة، واندماجهنّ في النِّضال الأنارشيّ النَّقابيّ.

نشأت حركة النّساء الحرائر من إدراك افتقار المرأة للتمكين داخل الحركات الأناركيّة، والنَّقابيَّة الأناركيّة الإسبانيَّة القائمة، وقد مثّلت المنظَّمة «مجتمع تمكين» لنساء الطَّبقة العاملة، موفّرةً إطاراً لمشاركتهن الفعّالة داخل الحركة التَّحرُّرية الأوسع. وعلى الرّغم من التّغييرات الثَّوريّة الّتي حدثت خلال الحرب، ظلّت العلاقات الجندريّة التَّقليديّة دون تغيير إلى حدّ كبير. وهكذا تبنَّت حركة النّساء الحرائر فكرة أنّ الإيديولوجيّة الأناركيّة تستلزم وجود حركة نسويّة مستقلَّة.

وانتقدت المنظَّمة أنظمة الإنتاج الحكوميّة، والرَّأسماليّة باعتبارها متجذّرة في علاقات استبداديّة وقمعيَّة، مؤكّدةً أنّ التّحوّل الثَّوريّ للعلاقات الشَّخصيّة ضروريّ لتفكيك الهيمنة والتَّبعيَّة، وفي رؤيتها الرّاديكاليّة، لم يكن بإمكان الأناركيّة استبعاد النّساء، فقد تناولت الجنسانيّة، والحياة الأسريّة، والعلاقات الشّخصيّة باعتبارها مكوّنات أساسيَّة للنِّضال، مدركةً أنّ القمع يتجلّى في مجالات متعدّدة، وليس فقط في مكان العمل.

انطلاقًا من التّقاليد الأناركيّة الجماعيّة، أكّدت حركة «النّساء الحرائر» أنّ التّمكين الفرديّ جماعيّ بطبيعته. لقد فهمن أنّ الهويّات تتشكّل

من خلال العلاقات داخل الأسر؛ والمجتمعات، حيث تحترم المجتمعات الّتي تتبنّى فكر المساواة الحقيقيّة التّنوّع، والفرديّة، ويمكن أن يعزّز العيش، والعمل معاً التّنمية الكاملة لقدراتنا الشّخصيّة.

دعمت إيما غولدمان بقوَّة حركة «النّساء الحرائر»، ودافعت عن فكرة أنّ الأناركيّة يمكن أن تعزّز دور المرأة؛ حيث شجّعت النّساء الإسبانيّات على صياغة ثورتهنّ الخاصَّة ضمن الإطار الشّيوعيّ التّحرُّري، ورفضن فكرة المنزل، والعلاقات كمجالات خاصَّة، ونددّن بسيطرة الكنيسة على الأزواج، ودافعن عن الحبّ الحريّة، ووقفن ضدّ نموذج الأسرة التّقليديّ الّذي يكرّس خضوع المرأة للرّجل، وسلّطن الضَّوء على أهمّيَّة التّعليم في مرحلة الطّفولة المبكرة، وانتقدن المدارس لإدامتها القيم البرجوازيّة، ودعوْن إلى تحوّل جذريّ في الأنظمة التّعليميَّة للتّأكيد على الحرّيَّة، بما في ذلك التّربية الجنسيّة، ومعالجة المواضيع المحرّمة سابقاً مثل وسائل منع الحمل والإجهاض.

الصِّراع الدّاخليّ والنّسويَّة الأناركيّة:

على الرّغم من أهدافها، غالباً ما تم تهميش قضايا المرأة داخل الحركة الأناركيّة النَّقابيَّة الإسبانيَّة الأوسع؛ حيث تبنت العديد من المنظَّمات اليساريّة، على الرّغم من التزامها النَّظري بمعالجة تبعيّة المرأة، منظوراً ماركسيّاً تقليديّاً اعتبر اضطهاد المرأة موضوعاً ثانويّاً للانقسامات الطَّبقيّة. لقد اعتقدوا أنّ أفضل نهج هو تنظيم النّساء داخل حركات الطَّبقة العاملة لمكافحة القمع الطَّبقيّ بشكل جماعيّ معتقدين أنّ التّحوّل الاقتصاديّ سيؤدّي بالتّالي إلى تغيير العلاقات الاجتماعيَّة، فقد أحالوا تحرير المرأة إلى قضيّة ما بعد الثَّورة.

كافحت النّساء كثيراً داخل منظّماتهن لجعل الهياكل المستقلَّة معترفاً بها، ومقبولة. ففي مؤتمرات مختلفة واجهن عقبات، أو حُرمن تماماً من فرصة التّحدث. عزّز هذا الكفاح صلة قويّة بحركة النّساء الكرديّات، والّتي تمثّل مصدر إلهام؛ لأوّل مرّة في التّاريخ، نشهد مثل هذا الاستقلال المنظّم والقويّ داخل حركة ثوريّة.

في المقابل، أقرّت الأناركيّة بتعدّد أشكال الهيمنة، مؤكّدةً أنّ إعادة الهيكلة الاقتصاديّة وحدها لن تكفي لتحقيق التَّحرُّر الإنسانيّ. وقد فتح هذا المنظور الباب أمام تركيز نظريّ أكبر على تبعيّة المرأة. ومع ذلك استمرَّت الأناركيّة النَّقابيَّة في إعطاء الأولويّة للصّراع الاقتصاديّ بين الطَّبقات، مع التَّركيز على مصادرة ممتلكات البرجوازيّة، وتجميع وسائل الإنتاج، الأمر الّذي دفع قضايا المرأة إلى الخلف مرّة أخرى.

بالتَّوازي مع ذلك، مالت الحركات النّسويَّة إلى معالجة تبعيّة المرأة في سياق أبويّ أحياناً دون مراعاة كاملة للقمع الاقتصاديّ، حيث انتقدت النّسويَّة الأناركيّة كلا النّهجين، داعيةً إلى نضال مزدوج ضدّ الرَّأسماليّة والنِّظام الأبويّ، معترفةً بتقاطع القمع الطَّبقيّ، والجنسيّ، ودافعت حركة «النّساء الحرائر» عن هذا النِّضال المزدوج، مؤكّدةً أنّ كلا النِّظامين ساهما في أشكال مختلفة من الاستعباد، في حين تأسّست بهدف صريح، وهو تحرير المرأة، إلّا أنّ هويّتها الأناركيّة جعلتها متوافقة بشكلٍ كبير مع الأهداف الأوسع للاتّحاد الوطنيّ للعمل (CNT)، والاتّحاد الأناركيّ الأيبيريّ (FAI)، حيث كان هدفهم الأساسيّ هو تنظيم النّساء من أجل النِّضال الأناركيّ النَّقابيّ؛ إذ اعتبروا النّسويَّة المؤسّسيّة إصلاحيّة بطبيعتها، وغير متوافقة مع رؤيتهم للتّحوّل الاجتماعيّ.

الماكيس:

تألّفت حركة الماكيس الإسبانيَّة من مقاتلي حرب العصابات الّذين تمّ نفيهم إلى فرنسا بعد الحرب الأهليَّة، واستمرّوا في مقاومة إسبانيا الفرانكويّة حتَّى أوائل السّتّينيَّات، حيث لجأ الكثيرون خلال الانتفاضة في المناطق غير الجمهوريَّة، إلى الجبال وانخرطوا في أعمال تخريب وسرقة (لتمويل مقاومتهم) واحتلال السّفارة الإسبانيَّة في فرنسا، واغتيال الفرانكويّين، إضافة إلى المساهمة في القتال ضدّ ألمانيا النَّازيَّة، ونظام فيشي في فرنسا خلال الحرب العالميّة الثَّانية. واشتدَّ القمع بعد عام ١٩٣٩؛ ممّا دفع العديد من مقاتلي الماكيس إلى الذَّهاب إلى فرنسا للانضمام إلى الحرب ضدّ الفاشيَّة، وهذا ما يوضّح الطّابع الأمميّ لنضالهم، وعاد بعضهم لاحقاً إلى إسبانيا لمواصلة القتال ضدّ النِّظام الفاشيّ هناك.

جاء هؤلاء المقاتلون من خلفيات سياسيَّة متنوّعة، بما في ذلك الشّيوعيّة والاشتراكيّة والأناركيّة، حيث بدأت تظهر النّقاشات خلال الحرب الأهليَّة حول حرب العصابات ضدّ القوميّين بقيادة فرانك، وكان الهدف قصير المدى هو تعطيل خطوط اتّصال، وإمداد القوميّين، بينما كان الهدف طويل المدى هو مواصلة القتال ضدّ فرانكو في حالة تكبّد هزائم على الجبهات التَّقليديّة، في حين ازدهرت عمليّات حرب العصابات في المناطق الرّيفيّة المعزولة، فيما عملت الجماعات الحضريّة، وخاصَّة في برشلونة بشكل مختلف. وكانت هذه الجماعات غالباً مدعومة من قبل الاتّحاد الوطنيّ للعمل (CNT)، وفي الوقت ذاته كانت حرب العصابات الحضريّة المستمرّة في مدريد ذات طابع شيوعيّ أكثر.

مع تصاعد قمع فرانكو للمقاومة، تراجعت قوَّة الماكيس، وتمّ اعتقال، وقتل العديد من الأعضاء، بينما لجأ آخرون إلى فرنسا، أو المغرب، فيما أمر فرانكو بدافع من جنون العظمة ببناء متاريس واسعة النِّطاق، ومخابئ دفاعيّة على طول جبال البرانس، خوفاً من غزو الحلفاء، وامتدّ هوسه أيضاً إلى خطط التّحصينات العسكريّة في جزر الكناري، والّتي سعى للحصول على مساعدة هتلر من أجلها، كما تمّ عسكرة جبال البرانس، الّتي كانت تشكّل حدوداً طبيعيّة بين إسبانيا، وفرنسا عبر التّاريخ؛ ممّا حوّل منطقة طبيعيّة جميلة إلى رمز للحرب.

الألوية الأُمَمِيَّة:

ربَّما كانت الألوية الأُمَمِيَّة أشهر مثال على الطّابع الأمميّ للثَّورة الإسبانيَّة الّتي كانت تتألّف من أكثر من ٦٠,٠٠٠ متطوّع من ٥٤ دولة مختلفة، وقد تمّ تأسيسها رسميّاً من قبل الكومنترن، بناءً على أفكار تروتسكيَّة حول أهمّيَّة نشر الثَّورة عالميَّاً. ويمكن اعتبار الثَّورة الإسبانيَّة في هذا الإطار مقدّمة للحرب العالميّة الثَّانية؛ حيث قامت جميع الفصائل من الفاشيّين إلى الثَّوريّين بتحليلها على أنّها لحظة حاسمة لتحديد الأصول العالميّة المستقبليَّة.

أودّ أن أشارككم ذكرى شخصيّة هامّة. فعندما كنت طفلة كنت أنا وعائلتي عائدين من زيارة جدّتي في قريتها، وبينما كانت والدتي تقود السَّيارة، سمعنا في الرَّاديو أنّ مجموعة من النَّاس عائدة إلى كاتالونيا لتلقي التّحيّة. قرّرنا أنا ووالدتي أنّه لا يمكننا تفويت تلك الفرصة، لذا سرنا بالسّيارة لمدّة ساعة إلى برشلونة. لم أفهم السّبب عندها، لكنّني وثقت بها. عندما وصلنا إلى سانتس، محطة القطار الرّئيسيّة في برشلونة فوجئت بالحشد الشَّعبيّ، حيث كان هناك العديد من النّاس متجمّعين، وفجأة دخلت مجموعة من كبار السّنّ من إحدى البوَّابات، بعضهم يرتدي ميداليّات، ووجوههم تحمل آثار الزّمن. كانوا من الألوية الدُّوليَّة. كانت هذه بالنّسبة للكثيرين منهم هي عودتهم الأولى إلى كاتالونيا بعد الحرب، وكانوا قادمين لتلقّي تحيّة رسميّة من البرلمان، حيث كان يحيط بهم أناس مبتهجون يغنّون ويضحكون. لقد كانت تجربة مؤثرة للغاية. في تلك اللحظة، أدركت أنني أريد أن أكون جزءاً من شيء يجسد التَّضامن العميق والالتزام والرّوح الأُمَمِيَّة.

الخلفيَّة التَّاريخيّة:

عندما بدأ الانقلاب في ١٨ يوليو ١٩٣٦، تمّ تنظيم جهود التَّضامن بسرعة، وبحلول أوائل أغسطس، كان مئات الأناركيّين حريصين على السّفر إلى إسبانيا لمواجهة الانتفاضة، والسَّعي وراء الثَّورة الاجتماعيَّة الّتي طال انتظارها، حيث كانت إسبانيا تُعتبر أرضاً خصبة لهذه المُثُل. وبينما انضمّت العديد من الألوية الدُّوليَّة إلى الجهود العسكريّة، امتدَّت مساهماتهم إلى ما هو أبعد من ساحة المعركة؛ فقد انخرطوا في أشكال مختلفة من العمل عبر جبهات مختلفة، أو «أحياء» في مدريد.

حدثت مقدّمة مثيرة للاهتمام في برشلونة قبل أيّام فقط من الانقلاب الفاشيّ؛ حيث كان من المقرّر إقامة دورة الألعاب الأولمبيّة المناهضة للفاشيّة في الفترة من ١٩ إلى ٢٦ يوليو ١٩٣٦، كردّ فعل على دورة الألعاب الأولمبيّة في برلين. ووجدت الانتفاضة الّتي اندلعت في ١٩ يوليو مئات الرّياضيّين المناهضين للفاشيّة ملتزمين بالفعل بالمقاومة، ممّا سهّل تنظيم الأمميّين. وهذا يُسلط الضَّوء على إمكانيّة التّعبئة عندما يتوافق الإعداد مع الأحداث.

انتقد بعض الأناركيّين في البداية، مشاركة الأمميّين، بحجّة أنّه لا حاجة لانضمام «النّاس» إلى الخطوط الأماميّة، بل الحاجة إلى الأسلحة والذّخيرة. لقد اعتقدوا أنّ كلّ منظَّمة يجب أن تركّز بشكل أساسيّ على بناء الثَّورة في بلدها، وهذا يثير أسئلة جوهريّة لا تزال تُطرح إلى اليوم حول طبيعة الأُمَمِيَّة: هل الأُمَمِيَّة مرتبطة بالضّرورة بالذّهاب إلى الخارج، والقتال، أم أنّها تشمل أيضاً دعم النِّضالات في الدّاخل؟

سعت الكومنترن في عام ١٩٣٨ إلى سحب جميع الأمميّين من الأراضي الإسبانيَّة. لكنَّ مايقارب ٦٠٠٠ منهم اختاروا البقاء ومواصلة القتال، بينما تجاهل هذا القرار حقيقة أنّ إيطاليا، وألمانيا كانتا ترسلان قوَّات لدعم قوَّات فرانكو. وقد شكّلت العودة إلى الوطن بالنّسبة للعديد من الأمميّين - وخاصَّة أولئك القادمين من ألمانيا وإيطاليا- خطراً كبيراً بسبب القمع الّذي ينتظرهم، ممّا دفعهم إلى البقاء في إسبانيا، حيث واجهوا آفاقاً قاتمة مع بداية صعود الدِّيكتاتوريَّة.

في حين وفّر الشّيوعيّون هياكل تنظيميّة، وموارد رسميّة شارك مئات المتطوّعين الأناركيّين في الصِّراع، وغالباً موّلوا سفرهم بأنفسهم، وعملوا دون دعم رسميّ من أيّ منظَّمة ليبرتاريّة، حيث انضمّوا إلى الميليشيات، والجيش الجمهوريّ، وخدموا في ألوية دوليّة مثل الكتيبة الخامسة عشرة (لواء أبراهام لينكولن).

أدّت مشاركة الأناركيّين الإسبان في المناصب السّياسيّة، والحكوميّة خلال الحرب إلى تحوّلات، وخلافات إيديولوجيّة، بينما مثّل العديد من القادة الأناركيين الأناركيّة في حكومة الجبهة الشّعبيَّة بعد وقت قصير من بدء الحرب. وخلقت هذه الأدوار توتّرات داخل الحركة التَّحرُّريّة؛ حيث اقترب الاتّحاد الوطنيّ للعمل (CNT) من التّعاون مع الحكومة، مبتعداً عن السّياسات الثَّوريّة الّتي دافع عنها الاتّحاد الدّوليّ للأناركيّين (FAI)، وفي ٣٠ يونيو ١٩٣٧، دعا الاتّحاد الدّوليّ للأناركيّين في برشلونة إلى الانفصال عن الاتّحاد الوطنيّ للعمل وسط قيود فرضتها الحكومة على القوَّات المتحالفة مع الكومنترن، والنِّظام السُّوفييتيّ بقيادة جوزيف ستالين، حتَّى أنّ بعض الفصائل الأناركيّة حاولت تنظيم أنشطة ضدّ دخول هذه الألوية إلى إسبانيا. في النِّهاية، أدَّى الوضع العسكريّ اليائس على الجانب الجمهوريّ إلى حلّ وسط بإنشاء هذه القوَّات بقيادة الشّيوعيّ الفرنسيّ أندريه مارتي.

لعب الاتّحاد الشّيوعيّ الأرجنتينيّ (FACA)، الّذي تأسّس في أكتوبر ١٩٣٥، دوراً حاسماً في إنشاء لجنة التَّنسيق لتقديم المساعدة لإسبانيا، حيث حشد مراكز التَّضامن الّتي كانت بمثابة مصادر تجنيد للمناضلين التَّحرُّريين الّذين انضمّوا إلى الحركة العمّاليَّة، وظهرت مراكز التّجميع في جميع أنحاء الأرجنتين، وأرسلت إمدادات كبيرة بما في ذلك ٦٠٠ طن من القمح والدَّقيق، و٣٠٠ طنّ من اللحوم، والملابس، والأدوية خلال الصِّراع. وهدفت شبكة التَّضامن الدُّوليَّة المناهضة للفاشيّة، والّتي نظمها في المقام الأوّل الأنارشيّون إلى تشكيل لجان إغاثة لدعم إسبانيا، وربط النّشطاء بالإيديولوجيّات المناهضة للفاشيّة.

كما أثّرت الأُمَمِيَّة الّتي ازدهرت في إسبانيا بشكلٍ كبير على أبيا يالا وما وراءها، فبعد عام ١٩٣٩، فرّ العديد من الثُّوَّار الإسبان إلى المكسيك والأرجنتين، حيث دعموا النِّضالات المحلّيّة.

تُعرِّف الألوية الدُّوليَّة أيضاً بالكتَّاب الّذين شاركوا فيها مثل جورج أورويل، الّذي وثّق تجربته في إسبانيا كعضو في ميليشيا تابعة لحزب العمَّال الماركسيّ الموحّد (POUM) في كتابه «تحيّة إلى كاتالونيا». ومن بين الكتّاب البارزين الآخرين جون دوس باسوس وإرنست همنغواي، ومع ذلك، من الضّروريّ إدراك أنّ القصَّة ليست رومانسيّة فحسب؛ فقد استمرّ الكثيرون في القتال ضدّ الفاشيَّة خلال الحرب العالميّة الثَّانية, ويُعدّ إرثهم بمثابة تذكير دائم بما تعنيه الأُمَمِيَّة والتَّضامن، والالتزام بقضيّة ما حقّاً.

الخلاصة:

كانت الثَّورة الإسبانيَّة نضالاً ضدّ الفاشيَّة بجميع أشكالها؛ حيث يُعدّ فهم تاريخها أمراً ضروريّاً لمواصلة نضالنا اليوم. ونظراً لخصائصها الفريدة، تُمثّل الثَّورة الإسبانيَّة تجربة فريدة من نوعها تقريباً في تاريخ النِّضالات الدّيمقراطيَّة، حيث تعتبر تجربة يمكننا أن نستمدَّ منها القوَّة ونتعلَّم منها الدُّروس، ويشمل ذلك كلَّ شيء بدءاً من تنظيمها للمجتمع والاقتصاد (القائم على نظام الكومينات والتّعاونيّات) وصولاً إلى روحها الأُمَمِيَّة والدّور الّذي حقّقته المرأة من خلال نضالها.

يُعدّ اجتماع مجموعات مختلفة مثل الشّيوعيّين، والأناركيّين، والجمهوريّين، والمستقلّين الإقليميّين مثالاً هامَّاً على كيفيَّة نضال القوى الدّيمقراطيَّة المختلفة معاً ضدّ الفاشيَّة. وقد تتبادر إلى أذهاننا العديد من الأسئلة، والتّناقضات عندما نفكر في هذه اللحظة بالذّات: كيف تعاملت الحركات الأناركيّة مع كونها الأغلبيّة؟ وكيف تعامل الشّيوعيّون مع التَّنظيم الهيكليّ الّذي اقترحه الأنارشيّون النَّقابيّون؟ وكيف ناضلت الأناركيّات جنباً إلى جنب مع الماركسيّين؟

كما ذكرنا سابقاً، تسير ثورة روج آفا على خطى الثَّورة الإسبانيَّة، وجميع النِّضالات الدّيمقراطيَّة الأخرى في التَّاريخ، فهي درب مقاومة الشَّعب، ودرب خلاص المجتمع، ودرب الحرّيَّة، لذلك، نعتقد أنّ العديد من هذه التّناقضات قد تمّ حلّها من خلال فلسفة، ومقترحات السَّيِّد عبد الله أوجلان.

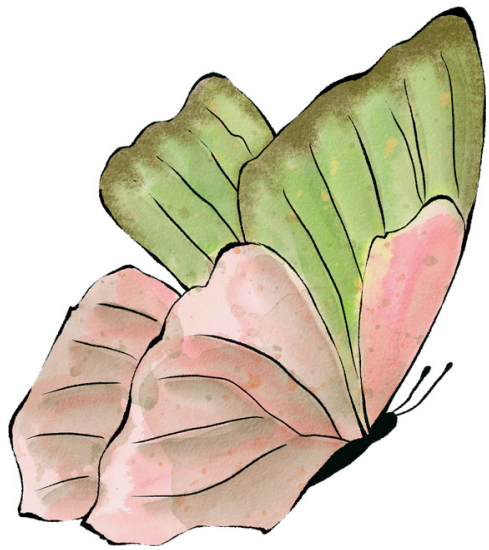

٥- الثَّورة الكوبيَّة ومؤتمر القارَّات الثَّلاث:

مـا هـي الأُمَمِيَّـة؟ ومـن هـم الأمميّـون؟ بينمـا نطـرح هـذه الأسـئلة، نحـاول فهـم النِّضـالات الماضيـة، وإيجـاد طـرق لممارسـتها فـي الحاضـر بطريقتنـا، وسـياقنا الخـاصّ. بصفتنـا لجنـة تمثّـل البرازيـل، والفلبّيـن، والكاميـرون - الّتـي تمتـدّ عبـر أبيـا يـالا وأفريقيـا وآسـيا - يهـدف ثلاثـة أصدقـاء إلـى تقديـم بعـض الأفـكار حـول هـذا المؤتمـر.

لقد ألهمت الثَّـورة الكوبيَّـة الحـركات المناهضـة للاسـتعمار، والثَّوريّـة فـي جميع أنحـاء العالم، وشـكَّلت خلفيّـة لمؤتمـر القـارَّات الثَّـلاث فـي هافانـا؛ حيـث اجتمـع أكثـر مـن ٥٠٠ وفـد مـن ٨٠ دولـة - يمثّلـون دولاً وأممـاً محـرّرة، ومنظّمـات ثوريّـة - لتشـكيل جبهـة موحّـدة ضـدّ الإمبرياليّـة، والاسـتعمار. هـذه الأحـداث الّتـي وقعـت منـذ أكثـر مـن ٦٠ عامـاً لهـا أهمّيَّـة كبـرى اليـوم، ليـس فقـط بسـبب اسـتمرارها التَّاريخـيّ، ولكـن لأنّـه يمكننـا التّفكيـر فـي أمثلـة مـن التَّاريـخ فـي الوقـت الّـذي نواجـه الإمبرياليّـة، والحصـار، والدّيكتاتوريّـات، ونربـط نضـالات اليـوم، ونبنـي تضامنـاً دوليّـاً.

كوبا:

نـودّ أن نبـدأ بمناقشـة كوبـا، وتأثيرهـا الدّولـيّ، ففـي ١ يناير ١٩٥٩، وبعـد ثـلاث سـنوات مـن حـرب العصابـات دخلـت القـوَّات الثَّوريّـة مدينـة هافانـا، ممّـا عـزّز الأمـل، وروح النِّضـال لـدى جميـع دول أمريـكا اللاتينيَّـة، وليـس لـدى الشَّـعب الكوبـيّ فقـط. ومـن المهـم الإشـارة إلـى أنّ فيـدل كاسـترو، وتشـي غيفـارا تلقَّيـا تدريبهمـا علـى يـد منفيّيـن إسـبان فـرّوا إلـى المكسـيك بعـد الحـرب الأهليَّـة الإسـبانيَّة، ممّـا خلـق معـه رابطـاً دوليّـاً مثيـراً للاهتمـام.

وفـي فتـرة الثَّـورة الكوبيَّـة التزمـت الأحـزاب الشّـيوعيّة فـي جميـع أنحـاء أمريـكا اللاتينيَّـة، الّتـي تأسّسـت خـلال حقبـة الكومنتـرن (الأُمَمِيَّـة الشّـيوعيّة)، بالسِّياسـة السُّـوفييتيّة لمـا يسـمّى «التّعايـش السّـلميّ» مـع الولايـات المتَّحـدة، والّتـي ركّـزت علـى الإصلاحيّـة، والنِّضـالات البرلمانيَّـة، واعتقدت

هذه الأحزاب أنّ شروط النِّضال الثَّوريّ غير متوفّرة، ممّا حدّ من أنشطتها فاقتصرت على السِّياسة الانتخابيّة.

ومع ذلك حين انتصرت الثَّورة الكوبيَّة حطّمت هذا الوهم الإصلاحيّ، وقدّمت كوبا مثالاً حيّاً ينبض بالحياة على أنّ الثَّورة لم تكن ممكنة فحسب، بل ضروريّة أيضاً، وصار من اللازم تطبيق دروس الثَّورة الكوبيَّة، وليس التّعبير عن التَّضامن معها فقط، ممّا يدلّ على أنّ النِّضال الثَّوريّ هو الطَّريق الحقيقيّ للنَّصر. فقد نهضت كوبا وهي جزيرة صغيرة كعملاق ضدّ الإمبراطوريّة الأمريكيَّة، وأشعلت أمل الثَّورة في جميع أنحاء القارة.

لقد تسبّب ذلك في انقسام حادّ في اليسار في أمريكا اللاتينيَّة بين موقفين: الثَّورة المسلَّحة، والإصلاحيّة، حيث جسّدت الشّخصيّات الثَّوريّة الكوبيَّة، كاميلو سيينفويغوس وتشي غيفارا الهويَّة، والوعي في أمريكا اللاتينيَّة، كما اتّحدت التّباينات الإقليميّة، والثَّقافيّة المختلفة في أبيا يالا من خلال تاريخ مشترك ليس فقط من الاستغلال، والعدوان، والمذابح، والاستعمار، ولكن من المقاومة الّتي لا تقهر أيضاً. فقدمت الثَّورة الكوبيَّة أملاً ملموساً في الإمكانيّات الثَّوريّة، وإعادة تأكيد الخطّ النِّضاليّ ضدّ الإصلاحيّة، حيث تجاوزت الانقسامات الكلاسيكيَّة لليسار.

ظهرت حركات المقاومة المسلَّحة، المستوحاة من الثَّورة الكوبيَّة، في أمريكا اللاتينيَّة بين ستّينيّات، وسبعينيّات القرن الماضي، حيث وفّرت كوبا ملاذاً آمناً، ومعسكرات تدريب فعّالة لأغلب هذه الحركات. وفي كثير من الحالات، طبّقت حركات المقاومة في أمريكا اللاتينيَّة تجربة كوبا بشكل أعمى غير مدروس على بلدانها، فقد شنت هذه الحركات ثورة مسلَّحة دون تحليل ظروفها، وواقعها الخاصّ على الأقلّ بالنِّسبة لأغلبها، مع وجود استثناءات بالطَّبع، فأدَّى ذلك إلى إخفاقات، وأخطاء يمكن أن تُقدّم لنا اليوم منظوراً، ورؤية ثاقبة، لذا علينا أن نُدرك التَّحدّي المتمثّل في استحضار الإلهام من حركة ثوريّة مع مقاومة إغراء تقليدها ببساطة بدلاً من ذلك ينبغي أن نفهم مبادئها الأساسيَّة على نحو أعمق، وأن نُكيّفها بعناية مع سياقاتنا الفريدة.

يجدر ذكر أبراهام غيلين، الثَّوريّ الإسباني الّذي قاتل مع ميليشيات الاتّحاد الوطنيّ للعمل (CNT) على جبهة غوادالاغارا خلال الحرب الأهليَّة الإسبانيَّة، حيث فرّ بعد انتصار فرانكو إلى أبيا يالا، وكرّس الأربعين عاماً التَّالية من حياته لدعم، وتدريب حركات حروب العصابات المختلفة، ولا سيَّما في الأرجنتين وأوروغواي. فيما بعد ذهب إلى كوبا؛ حيث انخرط في مناقشات حاسمة حول كيفيَّة تطبيق دروس حرب العصابات مع البقاء على صلة بالواقع المحلّيّ، حيث أكد غيلين على أهمّيَّة تجنب وهمْ أنّ الثَّورة وشيكة دائماً. وبدلاً من ذلك حثّ على فهم أعمق للاستراتيجيّة الثَّوريّة القائمة على السّياق.

أثارت الثَّورة الكوبيَّة أيضاً ردّ فعل قويّ، لا سيَّما من الولايات المتَّحدة ردّاً على الحركات الثَّوريّة المتنامية في جميع أنحاء أبيا يالا، طوّرت الإمبرياليّة الأمريكيَّة استراتيجيّة عسكريّة معقَّدة لقمع هذه الحركات. ومع بدء القارة في الانتفاضة رأت الولايات المتَّحدة في ذلك تهديداً جماعيّاً، حيث تمَّ تدبير العديد من الانقلابات العسكريّة من قبل دكتاتوريّين، أو أنظمة عسكريّة بمساعدة وكالة المخابرات المركزيَّة. وعزّزت هذه العمليَّات القمع على نطاق القارة من خلال عمليّة كوندور.

حسّنت هذه العمليّة آليات القمع الّتي استخدمتها الدّكتاتوريّات العسكريّة الفاشيَّة، لكن على

الرّغم من صعوبة تحديدها كمّيّاً، إلّا أنّ الأدلّة من الأرشيفات العسكريّة، وتحقيقات حول انتهاكات حقوق الإنسان، وشهادات النّاجين كشفت عن الخسائر الفادحة: فقد تمَّ اعتقال، وتعذيب مئات الآلاف، وقُتِل، أو اختفى عشرات الآلاف نتيجة لهذه الجهود.

لقد خلق انهيار الاتّحاد السُّوفييتيّ مصاعب كبيرة للشَّعب الكوبي، الّذي كان يعتمد بشكل كبير على الكتلة السُّوفييتيّة للحصول على الدَّعم، والمساعدة الاقتصاديّة، ومع ذلك، فإنّ الوعي الثَّوريّ للشَّعب الكوبيّ إلى جانب روابطه القويّة بقيادته سمح له بتحمّل التَّحدّيات الشَّديدة في التّسعينيّات. وعلى الرّغم من الأزمة ظلّوا ثابتين في الدِّفاع عن الثَّورة، وبلادهم. إنّ فخر الشَّعب الكوبيّ ليس مثيراً للإعجاب فحسب، بل كان نضالاً مبرّراً تماماً نظراً لضخامة العقبات الّتي واجهوها.

لا تزال الإنجازات المهمّة للثَّورة الكوبيَّة قائمة حتَّى يومنا هذا: حيث نظام رعاية صحّيّ عالي الجودة لا يزال عامّاً، ومجّانيّاً. لا يخدم هذا النِّظام السّكَّان الكوبيّين فحسب، بل يمتدّ أيضاً إلى تقديم المساعدة إلى الجنوب العالميّ، ويوفّر التَّعليم الطّبّيّ للطّلاب الدّوليّين، في حين أنّ كوبا كانت تدرّب المقاتلين في السّابق، فإنّها تدرّب الأطبّاء اليوم، وكان نظامها التَّعليميّ العامّ والميسور والمجّانيّ أيضاً فعّالاً في القضاء على الأمّيّة وتعزيز وجود شعب متعلّم ذاتيّاً منذ السّنوات الأولى للثَّورة.

ومع ذلك، من الضّروريّ أيضاً الاعتراف بأوجه القصور، فالقيود الجغرافيّة، والإنتاجيّة لدولة معزولة في جزيرة مثل كوبا تُشكّل تحدّيات مستمرّة، ففي تحالفها مع الاتّحاد السُّوفييتيّ عكست العلاقة الاقتصاديّة لكوبا النَّماذج الاستعماريَّة القديمة؛ حيث كان يتمّ تصدير السّكر مقابل التّكنولوجيا؛ والمنتجات اللازمة. وقد جعل هذا الاعتماد الشَّبيه بالدّيناميّات الاستعماريَّة التَّقليديّة، الاقتصاد الكوبيّ يعتمد على تصدير سلعة واحدة.

علاوة على ذلك، أدَّى الاستيلاء على جهاز الدُّولة إلى بيروقراطيّة الثَّورة، ممّا أسفر عن قمع أيّ معارضة، ولا سيَّما من التّيّارات الثَّوريّة الأخرى. وظهر انقسام بين الطَّبقة السّياسيّة، وعامَّة السّكَّان؛ حيث استمرَّت أوجه عدم المساواة الاقتصاديّة، والطَّبقيّة، وتفاقم هذا التَّفاوت بسبب ازدهار السِّياحة بعد التِّسعينيّات، ممَّا زاد من حدّة التَّفاوتات الاجتماعيَّة في الجزيرة.

لم تقبل القوى الإمبرياليّة قطُّ بوجود كوبا الثَّوريّة، كما لم تقبل الأوليغارشيات البيضاء في الأمريكيّتين استقلال هاييتي. بل استخدمت حصاراً اقتصاديّاً شديداً عليها حتَّى يومنا هذا، ومارست حملات تضليل واسعة النِّطاق، وتسلّل رأس المال الأجنبيّ (من خلال التَّهريب، والسِّياحة الفاخرة)، ووجود عملاء محرّضين وخونة. ويذكرنا هذا الوضع بوضع الإدارة الذَّاتيّة لشمال وشرق سوريا.

تاريخ مؤتمر القارَّات الثَّلاث:

عُقد مؤتمر في باندونغ بإندونيسيا في أبريل ١٩٥٥، قبل الثَّورة الكوبيَّة بفترة طويلة؛ حيث ضمّ قادة ٢٩ دولة مستقلَّة حديثاً كانت مستعمرة من قبل أوروبَّا. وتبع ذلك مؤتمر آخر في القاهرة عام ١٩٥٧، دفع منظَّمة تضامن شعوب أفريقيا، وآسيا (OSPAAAL) إلى تعزيز التزامها بالاعتراف بالاستعمار، والدّعوة إلى عدم الانحياز خلال الحرب الباردة.

في عام ١٩٦١، انعقد مؤتمر عالميّ آخر لحركة عدم الانحياز في بلغراد، يوغوسلافيا. وخلال هذه الاجتماعات، بدأت كوبا في إظهار حضورها من خلال إرسال وفود، واكتسبت فكرة توسيع شبكة التَّضامن هذه لتشمل أمريكا اللاتينيَّة زخماً بمشاركة حركات مختلفة حضرت هذه المؤتمرات. وفي ذلك الوقت أقامت دول العالم الثَّالث المستقلَّة علاقات تضامن لحماية وجودها. وعلى الرّغم من تبنّي العديد من الدّول موقف عدم الانحياز، فقد حافظ الاتّحاد السُّوفييتيّ على سياسة التَّعايش السّلميّ.

في أبريل ١٩٦١، وبعد مشاركة مندوب مراقب في اجتماع منظَّمة العمل من أجل شعوب أمريكا اللاتينيَّة، ومنطقة البحر الكاريبيّ (OSPAAAL) في باندونغ أدركت كوبا الحاجة إلى توسيع نطاق تركيز المنظَّمة ليشمل شعوب أمريكا اللاتينيَّة. وفي وقت لاحق في اجتماع عام ١٩٦٣ قرّروا تنظيم مؤتمر يوحّد ثلاث قارَّات: أفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينيَّة تحت اسم مؤتمر القارَّات الثَّلاث. وشاركت وفود كوبيَّة، ووفود أخرى من أمريكا اللاتينيَّة في المؤتمر الثَّالث لمنظَّمة العمل من أجل شعوب أمريكا اللاتينيَّة، ومنطقة البحر الكاريبيّ (OSPAAAL) الّذي عُقد في موشي، تنزانيا، عام ١٩٦٣.

من الضّروريّ تسليط الضَّوء على دور مهدي بن بركة، السّياسيّ الثَّوريّ المغربيّ الّذي اضطلع بدور قياديّ في اللجنة التَّحضيريّة لمؤتمر القارَّات الثَّلاث؛ حيث كان يسافر باستمرار بين أفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينيَّة لتنظيمه، وصرّح ابن بركة قائلاً: «سيؤدّي هذا إلى مزيد من الوحدة بين القوى المناهضة للإمبرياليّة في كلّ بلد، ممّا يُطلق عمليّة إيجابيّة بين المنظَّمات الّتي قد توجد فيها اختلافات ثانويّة، في مواجهة عدوّ يهدف إلى أن يكون دركاً دوليّاً». وهذا يُلخّص الرُّوح الّتي انعقد بها المؤتمر في هافانا.

لم يكن يُناضل من أجل الاستقلال فحسب، بل كان ملتزماً أيضاً بتعزيز التَّحوّل الاجتماعيّ على نطاق عالميّ، وسعى إلى حشد الدَّعم بما يتجاوز الانقسام المتزايد بين الاتّحاد السُّوفييتيّ، والصِّين فيما يتعلّق بقيادة الحركات الثَّوريّة. ولسوء الحظّ اختُطف بن بركة وعُذِّب، واختفى في ٢٩ أكتوبر ١٩٦٥، في مؤامرة دوليّة شملت النِّظام الملكيّ المغربيّ، والدُّولة الفرنسيَّة، قبل شهرين فقط من انعقاد مؤتمر القارَّات الثَّلاث.

فـي ذلـك الوقـت، كانـت كوبـا قـد تجـاوزت مؤخـراً أزمـة الصواريـخ الكوبيَّـة (١٩٦٣)، وتغلّبـت علـى الأحداث المضطربـة لغـزو وكالـة المخابـرات المركزيَّـة فـي بلايـا خيـرون. وشـهد عـام ١٩٦٦ الذكـرى السَّـنويَّة السَّـابعة للثَّـورة الكوبيَّـة ممّـا أدَّى إلـى تعبئـة كبيـرة للشَّـعب الكوبـيّ، وحـركات مختلفـة اسـتعداداً للمؤتمـر.

مؤتمر القارَّات الثَّلاث:

أودّ أن أبـدأ بمقتطـف مـن تقريـر لمجلـس الشّـيوخ الأمريكـيّ، حيـث ينـصّ التَّقريـر علـى أنَّـه «مـن المهيـن جـدّاً أن تسـتولي المؤامـرة الشّـيوعيّة الدُّوليَّـة علـى بلـد لا يبعـد سـوى ٦٠ ميـلاً عـن الشّـواطئ الأمريكيَّـة، ويصبـح الأمـر أكثـر إذلالاً بألـف مـرّة عندمـا يتحـوّل هـذا البلـد إلـى مقـرّ للتّخريـب الثَّـوريّ الدّولـيّ». كان هـذا بيانـاً رسـميّاً مـن حكومـة الولايـات المتَّحـدة، ممّـا يـدلّ علـى أنّ الإمبرياليّة الأمريكيَّـة شـعرت بالخـوف، والتّهديـد مـن هـذا المؤتمـر. وبصفتهـا عـدوّاً للشّـعوب المضطهـدة فـي العالـم، فـإنّ هـذا سـبب لسـعادة الشّـعوب.

فـي المؤتمـر، رأينـا تأكيداً لمخـاوف الإمبرياليّـة الأمريكيَّـة، حيـث اجتمعـت الحـركات الثَّوريّـة مـن آسـيا، وأفريقيـا، وأمريـكا اللاتينيَّـة للضَّـرب ضدّهـا، وبنـاء تضامـن مناهـض للإمبرياليّـة والاسـتعمار. لقـد كان شـكلاً جديـداً مـن أشـكال الأُمَمِيَّـة ينبثـق مـن شـعوب المسـتعمرات، والمسـتعمرات الجديـدة.

لمـاذا كان هـذا المؤتمـر تاريخيَّـاً إلـى هـذا الحـدّ؟! غالبـاً مـا تـمّ اسـتبعاد الشّـعوب المضطهـدة فـي أفريقيـا، وآسـيا، وأمريـكا اللاتينيَّـة مـن المشـاركة، وإقصاؤهـا مـن المناقشـات المهمّـة فـي النّسـخ السّـابقة مـن الحـركات الدُّوليَّـة. فـكان التَّجمـع بمثابـة إعـلانٍ شـامل؛ حيـث كانـوا يقولـون: «لـن نتبـع إمـلاءات، وتوجيهـات الـدّول الاشـتراكيّة القائمـة بصفتنـا شـعوباً مضطهـدة فـي هـذه القـارَّات الثَّـلاث. لقـد تـمّ إقصاؤنـا مـن كتـب التَّاريـخ؛ سـنكتب تاريخنـا بأنفسـنا. سـنجمع أنفسـنا ونُسـمع صـوت تحرّرنـا.»

كانـت هـذه هـي المـرة الأولـى الّتـي تجتمـع فيهـا هـذه الحـركات لمناقشـة كيفيَّـة تنسـيق جهودهـا، وتعزيـز تضامنهـا. وعلـى عكـس التَّجمّعـات الدُّوليَّـة السّـابقة مثـل حركـة عـدم الانحيـاز حضـر هـذا المؤتمـر مندوبـون ملتزمـون بالكفـاح المسـلَّح الثَّـوريّ.

خـلال هـذه الفتـرة كانـت حـرب فيتنـام محـوراً للمقاومـة، وموضوعـاً رئيسـيّاً فـي المؤتمـر، حيـث كانـت الولايـات المتَّحـدة تُصعّـد مـن نشـر قوَّاتهـا فـي فيتنـام كجـزء مـن تدخّلهـا العدوانـيّ، مصحوبـاً بحملـة قصـف واسـعة النِّطـاق فـي

شمال فيتنام ولاوس. أتذكر أنّ صديقاً أخبرني أنّ الولايات المتَّحدة أسقطت قنابل خلال حرب فيتنام أكثر ممَّا استُخدم في المجموع خلال الحرب العالميّة الثَّانية.

كانت هناك حركة متنامية داخل الولايات المتَّحدة مناهضة للحرب، ومعارضة داخليّة. وقد مثّلت منظَّمات ثوريّة مثل حزب الفهود السّود تطلّعات الأمم المضطهدة داخل الولايات المتَّحدة، وبنت علاقات مع الشَّعب الكوبيّ، معبّرةً في الوقت نفسه عن تضامن دوليّ مع شعوب آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينيَّة.

كانت إحدى النِّقاط التَّاريخيّة الرّئيسيّة في هذا المؤتمر رسالة تشي غيفارا. فعلى الرّغم من أنَّه لم يكن حاضراً، إلّا أنّه أرسل رسالة إلى المندوبين، حيث كان يعتقد أنّه على الرّغم من أنّ دول آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينيَّة لها خصائص فريدة، ومميّزة، إلّا أنّها تشترك في وحدة في مواجهة الإمبرياليّة، ودعا شعوب العالم الثَّالث إلى إنهاء الإمبرياليّة من خلال الأُمَمِيَّة الثَّوريّة، والكفاح المسلَّح.

حثّ المندوبين على النَّظر إلى فيتنام كمثال للمقاومة، وقال في رسالته: «كم يمكننا أن ننظر إلى مستقبل مشرق إذا ازدهرت فيتنامان، أو ثلاث، أو العديد من منها في جميع أنحاء العالم مع نصيبها من الموت، ومآسيها الهائلة، وبطولتها اليوميَّة، وضرباتها المتكرّرة ضدّ الإمبرياليّة. وإذا كنَّا جميعاً قادرين على التَّوحّد لجعل ضرباتنا أقوى، وأكثر فاعليّة، وبالتَّالي زيادة فعاليّة جميع أنواع الدَّعم المقدّم للشُّعوب المناضلة، فسيكون ذلك المستقبل عظيماً، وقريباً.»

المشاركة في المؤتمر:

عُقد المؤتمر القارَّات الثَّلاث في الفترة من ٣ إلى ١٤ يناير/كانون الثاني ١٩٦٦ في هافانا، وحضره العديد من المشاركين؛ حيث تزامن الحدث مع احتفالات الذّكرى السَّنويَّة السَّابعة للثَّورة الكوبيَّة، والّتي شهدت تعبئة كبيرة من قبل الشَّعب الكوبيّ.

لقد لعب أبطال التَّاريخ المجهولون بمن فيهم المترجمون، والعاملون في الخدمات اللوجستيّة، والطَّهي، والتَّنظيف أدواراً أساسيَّة، وقد حضر الاتّحاد السُّوفييتيّ، والصِّين ممَّا سلَّط الضَّوء على النّزاعات السّياسيّة في ذلك الوقت، والّتي سعت كوبا إلى التّوسّط فيها. وقد كان أحد أهداف مؤتمر القارَّات الثَّلاث توحيد «الّتياريين» في جبهة متماسكة ضدّ الإمبرياليّة، والرَّأسماليّة.

وكانت الوثائق المتعلقة بمؤتمر القارَّات الثَّلاث، ومشاركة المرأة فيه محدودة، كما كانت المعلومات العامّة حول تفاصيل المؤتمر شحيحة، ومع ذلك فقد المرأة لعبت دوراً نشطاً للغاية

فـي مختلـف النِّضـالات الممثلـة هنـاك؛ حيـث توضّـح ملصقـات الحـدث بمـا فـي ذلـك ملصـق اليـوم العالمـيّ للمـرأة فـي ٨ مـارس هـذه المشـاركة. وعلـى الرّغـم مـن مشـاركة المـرأة فـي هـذه النِّضـالات، إلّا أنّ القيـادة كانـت فـي الغالـب مـن الذُّكـور؛ ممّـا يعكـس أوجـه القصـور فـي المنظَّمـات المشـاركة. ومـع قلّـة المعلومـات المتاحـة تظـلّ الأدوار المحـدَّدة الّتـي لعبتهـا المـرأة فـي مؤتمـر القـارَّات الثَّـلاث غيـر واضحـة.

وبالرّغم من ذلك يمكننا تسليط الضَّوء على امرأتين بارزتين شاركتا في مؤتمر القارَّات الثَّلاث:

جوزفيـن بيكـر: وهـي فنَّانـة، وناشـطة سياسـيَّة فرنسـيّة، ناضلـت ضـدّ العنصريّـة، والاسـتعمار، وفـي الوقـت ذاتـه دافـع عـن حقـوق الأمريكيّيـن مـن كان مـن أصـل أفريقـيّ. زارت بيكـر كوبـا بانتظـام، وفـي ديسـمبر ١٩٦٥، والتقـت فيـدل كاسـترو، وحذرّتـه مـن محاولـة اغتيـال محتملـة؛ حيـث تـمّ إحبـاط العديـد مـن هـذه المحـاولات فـي ذلـك الوقـت.

ميشـيل فيـرك: صحفيّـة وثوريّـة، حضـرت مؤتمـر القـارَّات الثَّـلاث، وشـاركت فـي نضـال جبهـة التَّحريـر الوطنـيّ فـي الجزائـر، وانضمَّـت لاحقـاً إلـى حركـة حـرب عصابـات فـي غواتيمـالا؛ حيـث فقـدت حياتهـا فـي النِّهايـة. وفـي رسـالة إلـى رفيـق فرنسـيّ أعربـت عـن التزامهـا بالنِّضـال الثَّـوريّ: «ليـس مـن المخجـل جعـل النِّضـال الثَّـوريّ محـور حيـاة المـرء، والّـذي سـيكون كلّ شـيء آخـر غيـره عرضيَّـاً؛ فنحـن مواطنـون عالميّـون، والعالـم واسـع، هنـا، أو هنـاك، ولا جدوى مـن القدريَّـة الجغرافيّة. وعلـى الرّغـم مـن أنّ وسـائلي محـدودة وضعيفـة إلَّا أنّنـي أضعهـا بالكامـل فـي القتـال، وأرفـض أيَّ شـخص يسـرق الأفـكار الّتـي سـأقاتل مـن أجلهـا حتَّـى المـوت.»

أعوام السّتّينيَّات والسّبعينيَّات في أفريقيا:

في أفريقيا، خلال السّتّينيَّات والسّبعينيَّات، حقّقت معظم الدّول ما يسمَّى «الاستقلال». ومع ذلك، حين استمرَّت بعض المستعمرات في مواجهة صراعات مسلَّحة ثوريّة شديدة، غالباً ما أخفى هذا الاستقلال الرَّسميّ شكلاً جديداً من أشكال الاستعمار، وظلّت السَّيطرة على الاقتصادات، والموارد الإفريقيَّة إلى حدٍّ كبير في أيدي القوى الأوروبيَّة، كما تميّزت هذه الحقبة بالدّيكتاتوريّات، والانقلابات العسكريّة، واغتيال العديد من القادة الثَّوريّين، والتَّقدُّميين، وظلّ إنهاء الاستعمار في جميع أنحاء القارة غير مكتملاً، وتجسّد «فرانس أفريك» كيف أنّ الاستعمار الجديد ما يزال يمنع الاستقلال الاقتصاديّ الحقيقيّ.

كان هذا أيضاً وقتاً للتَّضامن الدّوليّ في المقاومة، فقد شاركت دول في أبيا يالا وآسيا، الّتي عانت من هيمنة، وجرائم مماثلة ارتكبتها قوى عالميّة كبرى مثل الولايات المتَّحدة، وفرنسا وإنجلترا، هذا النِّضال من أجل السّيادة.

أميلكار كابرال:

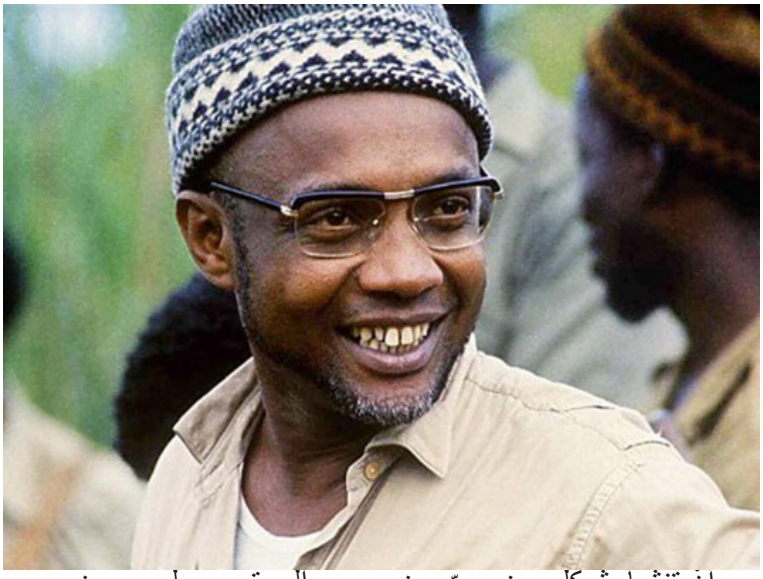

أثر أميلكار كابرال، وهو زعيم رئيسيّ من غينيا بيساو، بشكل عميق على حركات التَّحرير بأفكاره، وتحدَّث نيابة عن الحزب الأفريقيّ لاستقلال غينيا، والرَّأس الأخضر (PAIGC)، وسلّط الضَّوء على المبادئ الأساسيَّة للتَّحرير الوطنيّ.

كما شدّد على أهمّيَّة معالجة نقاط الضّعف الدَّاخليَّة الّتي اعتبرها أكثر صعوبة من المقاومة الخارجيَّة. لقد كان كابرال يعتقد أنّ الثَّورة الفعّالة يجب أن تنشأ بشكل عضويّ من صميم المجتمع، وليس من خلال استراتيجيّات مستوردة. وباستخدام الاستعارة: «مهما كانت مياه النَّبع ساخنة، فإنّها لا تخبز أرزك». فقد أكّد أنّ التَّحوّل يتطلّب فهماً، وجهداً متجذّرين في كلّ سياق فريد.

ورفض كابرال أيضاً فكرة أنّ التَّاريخ يبدأ بالبُنى الطَّبقيّة، مؤكّداً أنّ هذا الرَّأي استبعد بشكل غير عادل تاريخ الأفارقة، والآسيويّين، والأبيا يالان قبل الإمبرياليّة. وبالنِّسبة له فإنّ التَّحرُّر الوطنيّ الحقيقيّ يعيد الهويَّة التَّاريخيّة للشَّعب، ويستعيد مكانته في التَّاريخ من خلال هزيمة الهيمنة الإمبرياليّة.

إعلانات مؤتمر القارَّات الثَّلاث:

- **الاستقلال السّياسيّ الكامل:** أكّد المؤتمر على الحقّ في الاستقلال السّياسيّ الكامل، ودعا إلى جميع أشكال النِّضال الضّروريّة، بما في ذلك المقاومة المسلَّحة لتحقيق هذا الهدف.
- **التَّضامن النِّضاليّ:** دعا إلى تضامن قويّ، وديناميكيّ بين شعوب آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينيَّة، وتوحيدهم تحت إطار مناهض للإمبرياليّة.
- الحقّ في العنف الثَّوريّ: أيّد الإعلان حقّ الأمم المضطهدة في استخدام العنف الثَّوريّ ردّاً على العدوان الإمبرياليّ، ودفاعاً عن السّيادة الوطنيّة، والاستقلال.
- **دعم حركات التَّحرير:** أيّد التزام شعوب آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينيَّة بتقديم الدَّعم المادّيّ، والمعنويّ للأمم الّتي تناضل من أجل حرّيتها، أو تواجه هجمات إمبرياليّة.
- **إدانة العدوان الأمريكي في فيتنام:** أدان المؤتمر حرب الولايات المتَّحدة في جنوب فيتنام، ووصف القادة الأمريكيين بأنّهم مجرمي حرب بسبب أعمالهم العنيفة ضدّ الشَّعب الفيتناميّ.
- **الاستقلال الاقتصاديّ:** حثَّ المؤتمر على القضاء على جميع بقايا السّيطرة الاقتصاديّة الإمبرياليّة، وشجّع على تنمية اقتصادات مستقلَّة.
- **الوصول إلى التَّكنولوجيا والتّعليم:** دعا المؤتمر إلى الحقّ في امتلاك التّكنولوجيا، مع تسليط الضَّوء على الحاجة إلى إصلاح تعليميّ يبدأ بالقضاء على الأمّيّة، والتَّقدُّم نحو ثورة تقنيّة.
- **حقوق الرّعاية الصّحّيّة:** أكّد على الحقّ في حياة صحّيّة بما في ذلك الحصول على الرّعاية الطّبّيّة، والوقائيّة لجميع النّاس.
- **إزالة القواعد العسكريّة، والأجنبيّة:** أيّد الإعلان تحرير جميع الدّول من وجود القواعد الأجنبيّةّ والعسكريّة على أراضيها.
- **إدانة الحصار الأمريكيّ على كوبا:** أدان المؤتمر الحصار الأمريكيّ المفروض على كوبا، والّذي تضمَّن قيوداً على الموارد الأساسيَّة مثل الغذاء والدّواء واصفاً إيّاه بأنّه عمل عدوانيّ.
- **التَّضامن مع فلسطين:** أعرب عن تضامنه مع الشَّعب الفلسطينيّ في نضاله المشروع لتحرير وطنه من القوى الإمبرياليّة، والصّهيونيّة.
- **المساواة ومناهضة العنصريّة:** أكّد الإعلان على مبدأ المساواة للجميع، ودعا شعوبنا إلى مكافحة جميع أشكال العنصريّة، والتّمييز.
- **دعم الطَّبقة العاملة والحركات التَّقدُّميَّة في الدّول الرَّأسماليّة:** وجّه المؤتمر تحيّاته إلى الطَّبقات العاملة، والحركات التَّقدُّميَّة في الدّول الرَّأسماليّة، وحثّ على مزيد من التَّضامن مع شعوب آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينيَّة.
- **التَّأثير على الصِّراع الطَّبقيّ العالميّ:** أكّد المؤتمر أنّ تحرير آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينيَّة سيلهم الطَّبقة العاملة، والشّعوب المضطهدة في الولايات المتَّحدة، والدّول الأوروبيّة المتقدّمة.
- **تعزيز الصِّراع الطَّبقيّ في الدّول الرَّأسماليّة:** أكّد المؤتمر أنّ تكثيف الصِّراع الطَّبقيّ داخل الدّول الرَّأسماليّة سيساهم في تقدّم حركات التَّحرُّر الوطنيّ في آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينيَّة.

النَّتائج التَّنظيميَّة لمؤتمر القارَّات الثَّلاث:

أدَّى مؤتمر القارَّات الثَّلاث إلى مبادرات تنظيميّة هامَّة هدفت إلى تعزيز التَّضامن المناهض للإمبرياليّة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينيَّة. وللحفاظ على التّماسك الإيديولوجيّ والتَّواصل مع الجماهير العالميّة، أنشأ المؤتمر مجلة القارَّات الثَّلاث، وهي منشور مخصّص للخطاب المناهض للإمبرياليّة، وتوحيد الحركات في جميع أنحاء العالم.

كانت إحدى النَّتائج الرّئيسيّة للمؤتمر هو تأسيس منظَّمة التَّضامن مع شعوب آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينيَّة (OSPAAAL) في هافانا، تمثّلت مهمّة منظَّمة التَّضامن OSPAAAL في تقديم الدَّعم المادّيّ للحركات الثَّوريّة، بما في ذلك تدريب المقاتلين، والدّعاية، وتوفير الأسلحة. ومع مرور الوقت تخلّت منظَّمة التَّضامن OSPAAAL عن الدّعوة إلى الكفاح المسلَّح، واعتمدت في النِّهاية التَّركيز على موضوعات «تنمية الشّعوب». وهو تغييرٌ تأثّر بالتّقارب المتزايد بين كوبا، والولايات المتَّحدة، ممّا ساهم في حلّ منظَّمة التَّضامن مع شعوب آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينيَّة OSPAAAL في عام ٢٠١٩.

كما أسّس المؤتمر منظَّمة التَّضامن لأمريكا اللاتينيَّة (OLAS)، ومقرها هافانا كردّ فعل على منظَّمة الدّول الأمريكيَّة (OAS)؛ حيث مثّلت OLAS وحدة أمريكا اللاتينيَّة ضدّ الوحدة الأمريكيَّة، ودعمت الحركات المسلَّحة من خلال التَّوافق الإيديولوجيّ، والتَّنسيق الاستراتيجيّ، وتوفير الموارد. وقد طوّرت OLAS في مؤتمرها عام ١٩٦٧ استراتيجيّات مناهضة للإمبرياليّة، وروّجت لتكتيكات حرب العصابات لتحقيق الثَّورة الاشتراكيّة، ومع ذلك فقد أدَّى مقتل تشي غيفارا في بوليفيا، ومعارضة الاتّحاد السُّوفييتيّ لـ«المغامرة» في نهاية المطاف إلى حل OLAS.

وعلى الرّغم من هذه الجهود فقد واجهت مبادرات القارَّات الثَّلاث تحدّيات تشغيليّة، فبينما كانت كوبا بمثابة ملاذ للقادة الثَّوريّين، كافح أعضاء OLAS من أجل إنشاء هياكل متماسكة، حيث حافظت كلّ مجموعة على علاقتها الفريدة مع هافانا. وقد حدّ ذلك من فعاليَّة الإجراءات المنسّقة، وأبرز الصّعوبات في ترجمة الوحدة الإيديولوجيّة إلى عمليّات مستدامة، ومنسّقة عبر مناطق متنوّعة.

الخاتمة: فتح الطَّريق للمضيّ قُدُماً في الكفاح العالميّ من أجل التَّحرُّر:

في عالمٍ كان يُعرَف سابقاً بتعدّد مراكز القوى، يبدو أنّ الإمبرياليّة اليوم تتطوَّر في شكلها لا في جوهرها، وما تزال تمارس سيطرتها على الأراضي المضطهدة؛ حيث تُجسّد كردستان هذا الواقع العالميّ، مُسلّطةً الضَّوء على استمرار القمع، والحاجة المُلحة للتَّضامن. وبالتَّأمّل في إرث مؤتمر القارَّات الثَّلاث، يُمكننا استخلاص دروسٍ بالغة الأهمّيَّة لليوم.

لتعزيز هذه المُثل، يجب علينا المُثابرة في بناء سبُل التضامن، وتعزيز التنسيق بين نضالاتنا، وحركاتنا المتنوّعة. فكيف يُمكن إذاً تجسيد الكفاح ضدّ الإمبرياليّة بشكلٍ فعّال اليوم؟! من هذا المنظور يجب على الشّعوب المضطهدة أن تُنظّم نفسها على مُستوياتٍ مُتعدّدة لتناسب سياقاتها الخاصَّة، وأن تتصوّر استراتيجيات تُعالج الأراضي المحلّيّة مع التّوافق مع حركة التَّحرُّر العالميّة.

لا يمكن لمثل هذه الاستراتيجيّة أن تنشأ تلقائيّاً، أو من خلال أعمال معزولة؛ بل إنّها تتطلّب آليات منظَّمة توجّه الجهود الجماعيّة نحو النّصر. تقدّم ثورة روج آفا نموذجاً مقنعاً يربط الدُّروس التَّاريخيّة بأطُر مبتكرة للحكم الذَّاتيّ، والمقاومة. وكما عبّر السَّيِّد عبد الله أوجلان فإنّ روج آفا تمثل «فرناً مشتعلاً للثَّورة العالميّة»، ساحة تُصقل فيها المُثل، وتحقّق.

ثمّة حاجة ملحة اليوم لترجمة التَّضامن من إعلانات إلى أفعال ملموسة، وموحّدة؛ لذا يجب أن تسعى الأُمَمِيَّة الجديدة جاهدة لتكون أداة عمليّة للعمل لتُمكِّن الحركات المحلّيّة مع تعزيز التَّنسيق الدّوليّ، وليست رمزاً نظريّاً للتّضامن العالميّ فقط. ويدعونا النِّضال من أجل التَّحرُّر العالميّ إلى المساهمة بتفانٍ، وإخلاص، وانفتاح يتجاوز الانقسامات، وبذلك، نمهّد الطَّريق نحو مستقبلٍ متجذّر في الاشتراكيّة، والحرّيَّة.

ملاحظة ختاميّة: «الثّقافيّة الّتي لا تُقهر»

كلمة أخيرة نقولها: نودّ أن نتذكّر طبيبين أرجنتينيّين ذهبا في أوقات مختلفة إلى كوبا، ومن هناك سلكا طريقاً مكرّساً للبحث عن الأمل، والحرّيّة، والالتزام بالنِّضال الثّوريّ للشّعوب المضطهدة. كلاهما، مع الأسف، تركانا شهيدين في سبيل أداء واجبهما.

جسّد إرنستو تشي غيفارا، وألينا سانشيز / ليكرين جيا (Lêgerîn Çiya) حياة الأمميّ، والثّوريّ الملتزم إلى الأبد بقضيّة المضطهدين في بناء الاشتراكيّة التّحرُّريّة. وقد زعم تشي أنّه في موقف مقاتلي حرب العصابات لمح الإنسان الجديد. أليس هذا ما أظهرته لنا ثورة روج آفا، وتاريخ حزب العمَّال الكردستانيّ PKK/حركة حرّيَّة كردستان من خلال قصص لا حصر لها من الأعمال المأساويَّة، والبطوليَّة؟

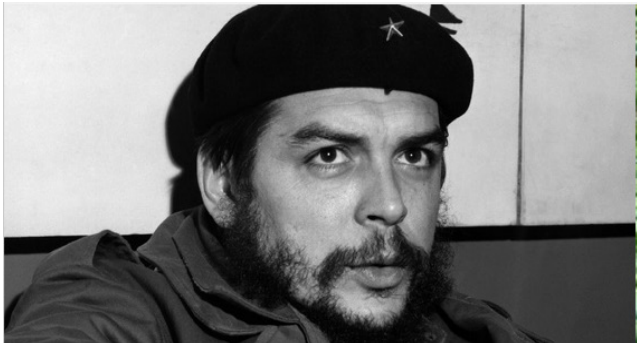

لقد مضت حياتهم، ولم يبقَ لنا سوى الذّكريّات، والصّور، والفيديوهات، وقبورهم، ومع ذلك، فإنّ أعمالهم مستمرّة؛ فهم لم يرحلوا، وما زالوا أحياءً، وإذ نسير على خطاهم في هذه الرّحلة الطّويلة فإنّنا نتعهّد أمام هذا الجمع بتكريمهم بنضالٍ لمدى الحياة. وإذا بقينا أوفياء لذكراهم، وواصلنا إحياء إرثهم بأفعالٍ، وأفكارٍ جديدة فلن يكون لدينا سبب للخوف من العدوّ. سنحملهم في قلوبنا، وسيبقون حاضرين فينا مع رؤية عالمٍ جديد.

وفوق كلّ شيء، وبعيداً عن الكلمات الرَّنّانة، سنسعى إلى الشّعور، في أعماقنا، بأيّ ظلم يُرتكب ضدّ أيّ شخص، في أيّ مكان في العالم.

ما زلنا نسمع ألينا، وإرنستو وهما يهمسان من أعماق الأرض:

إلى الأبد، يا رفيقات!

٦- النِّضالات المناهضة للاستعمار

تحظى حركة حرّيَّة كردستان باعترافٍ واسع النِّطاق لخوضها نضالاً هامَّاً مناهضاً للاستعمار، لكنَّ العديد من حركات التَّحرُّر الوطنيّ الأخرى وضعت نضالاتها في سياق دوليّ، رابطةً كفاحها بالحركات العالميّة، في حين وثّق التَّاريخ العديد من النِّضالات المناهضة للاستعمار، إلّا أنّ الكثير منها ما يزال خفيَّاً بسبب الطَّبيعة الأبويّة للسّرديات التَّاريخيّة. وفي هذا المؤتمر لا يقتصر هدفنا على سرد هذه النِّضالات فحسب، بل يتعدّاه إلى استكشاف أبعادها الأُمَمِيَّة، ودراسة التّحوّل الثَّوريّ في العقليَّة الّتي ألهمته.

بُنيت الرَّأسماليّة على استعمار، واستغلال العالم الثَّالث - أصبحت أبيا يالا، وأفريقيا، وقارّات بأكملها مصادر للرّبح بالنّسبة للغرب الرَّأسماليّ. ومع انتشار الرَّأسماليّة تمّ إضفاء الطّابع المؤسّسيّ على الاستغلال، والاستيعاب، وقسّمت العالم الثَّالث، واستعمرته بما يتماشى مع الاستراتيجيّات الجيوسياسيَّة للولايات المتَّحدة، والاتّحاد السُّوفييتيّ، وقد مثّل هذا مرحلة جديدة من الاستعمار، مرحلة لم تعتمد على السَّيطرة الإقليميّة فقط، بل اعتمدت على الهيمنة الاقتصاديّة أيضاً.

ولم تكن النِّضالات المناهضة للاستعمار عبر التَّاريخ تُصاغ دائماً من منظور وطنيّ؛ إذ ظهرت حركات سابقة ردّاً على العمل القسريّ، والظّلم، والعبوديّة، ومع ذلك مع تطوّر الرَّأسماليّة من خلال استغلال العالم الثَّالث، أصبح من الواضح أنّ العالم الثَّالث وحده هو القادر على تحدّي النِّظام العالميّ الرَّأسماليّ، ورفضه. فقد ازدهر هذا النِّظام من خلال إخضاع هذه المناطق، وكلّما ثار العالم الثَّالث اضطرّت القوى الرَّأسماليّة إلى تعديل استراتيجيَّاتها. وقد أدَّى انتهاء الاستعمار التَّقليديّ إلى ظهور أشكال جديدة من المقاومة الوطنيّة.

امتدَّت هذه المقاومة إلى الأشكال الجديدة للاستعمار، والّتي وفّرت الاستقلال السّياسيّ مع ضمان استمرار التَّبعيَّة الاقتصاديّة. لقد رأت الحركات المناهضة للاستعمار في مختلف البلدان نضالاتها مترابطة، مستلهمةً من النَّجاحات الثَّوريّة في أماكن مثل كوبا، والجزائر، والّتي أصبحت منارات للجهود العالميّة المناهضة للاستعمار.

الجزائر:

أودّ اليوم تسليط الضَّوء على الجزائر كمثال على النِّضال المناهض للاستعمار، والنِّضال الأمميّ. ففي السّتّينيَّات، والسّبعينيَّات، أصبحت الجزائر مركزاً محوريّاً للثّوار في جميع أنحاء العالم الثَّالث، وقد رحّبت بجميع الجماعات، والحركات الّتي تكافح الاستعمار، والعنصريّة. وفي غضون بضع سنوات أصبحت الجزائر «العاصمة الحمراء» للنّضالات المناهضة للاستعمار، أو «مكة» الثُّوَّار.

في عام ١٩٦٠، ومع تصاعد الاضطرابات في جميع أنحاء إفريقيا كانت عشرات الدّول تكافح ضدّ الهيمنة الأجنبيّة، ونظام الفصل العنصريّ، وقد وجدت العديد من هذه المنظَّمات ملجأً في الجزائر، بما في ذلك نيلسون مانديلّا، والمؤتمر الوطنيّ الأفريقيّ في جنوب إفريقيا؛ حيث أطلق مانديلا على الجزائر اسم وطنه الثَّاني، وكان المؤتمر الوطنيّ الأفريقي أوّل حركة يتمّ التَّرحيب بها رسميّاً في الجزائر. ففي عام ١٩٦٣ افتتحوا مكتبهم هناك، وتلقّوا دعماً كاملاً في نضالهم ضدّ الدِّيكتاتوريَّة البيضاء.

في ذلك الوقت غيّر مانديلا الّذي سعى في البداية إلى النّصر دون كفاح مسلّح وجهة نظره بعد أن شهد الحقائق الوحشيّة للاستعمار، ولا سيَّما بعد مذبحة شاربفيل عام ١٩٦٠ (حيث قُتل ٧٠ شخصاً، وأصيب ٢٠٠ آخرين). وردّاً على ذلك أسس منظَّمة مسلَّحة، كما تلقّى مانديلا تدريبه العسكريّ من جبهة التَّحرير الوطنيّ الجزائريّة. ولم تكن استراتيجيّة جبهة التَّحرير الوطنيّ الثَّوريّة تحقيق نصر عسكريّ من خلال الكفاح المسلَّح وحده، بل إطلقت العنان لقوى سياسيَّة قادرة على هزيمة العدوّ.

أدانت مجلّة ثوريّة نُشرت في الجزائر الاستعمار، والإمبرياليّة، وشهدت المظاهرات المنتظمة الدّاعمة للحرّيَّة الإفريقيَّة خروج الآلاف إلى الشَّوارع. في ذلك الوقت، كان يُنظر إلى النِّضال من أجل حرّيَّة الجزائر على أنّه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحرّيَّة الشّعوب في جميع أنحاء أفريقيا.

أقامت حركة «الفهود السَّوداء»، وهي منظَّمة اشتراكيّة ثوريّة في الولايات المتَّحدة، علاقات مع الجزائر، ففي عام ١٩٦٩، وبعد مواجهة قمع متزايد في الولايات المتَّحدة، أنشأت حركة «الفهود السَّوداء» فرعها الدّوليّ في الجزائر. لقد اعترفوا بالجزائر كرمزٍ لمناهضة الإمبرياليّة، وأصبحت ملاذاً لنشطاء تحرير السّود. فرأت «حركة الفهود» في انتصار الجزائر على الاستعمار الفرنسيّ مصدر إلهامٍ لنضالها ضدّ الاضطهاد العنصريّ في الولايات المتَّحدة، وقد وفرّت لهم الجزائر منصّة للدعوة إلى التَّضامن الدّوليّ، وتحرير الشّعوب المضطهدة في جميع أنحاء العالم.

وبحلول السّتّينيَّات نالت أكثر من ٣٠ دولة أفريقية استقلالها السّياسيّ، وفي عام ١٩٦٣ تأسست منظَّمة الوحدة الإفريقيَّة في إثيوبيا بهدف الاستقلال الكامل لجميع الدّول الإفريقيَّة، كما قدّمت الجزائر دعماً ماليَّاً، ودبلوماسيّاً، وعسكريّاً لهذه الحركات، وتمّ إنشاء لجنة تنسيق من أجل الحرّيَّة الإفريقيَّة هناك، كما تمّ توجيه العديد من العمليَّات العسكريّة من هناك أيضاً.

حركات التَّحرُّر الإفريقيَّة المدعومة والمنظَّمة في الجزائر

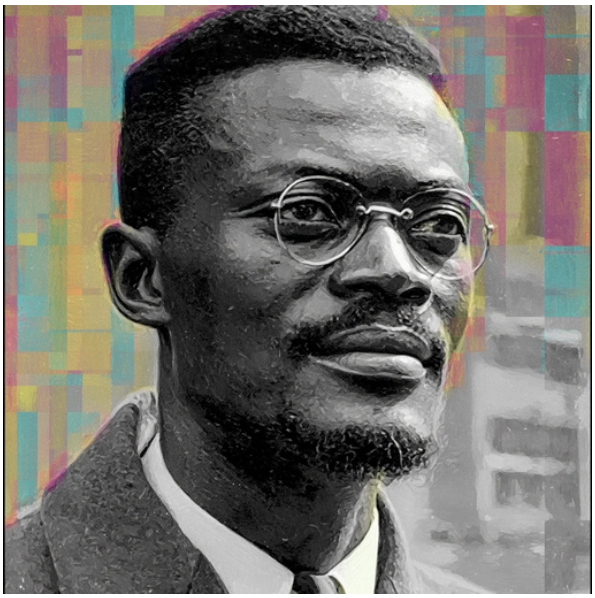

وُجدت العديد من الحركات الأخرى من أفريقيا الدَّعم، والتَّنظيم في الجزائر، فعلى سبيل المثال أقامت حركات التَّحرير من موزمبيق، وغينيا بيساو وأنغولا - من المجموعة الّتي قادها أميلكار كابرال – علاقات حميمة هناك، حيث حافظت الجزائر على علاقات قويّة مع مصر، الّتي كانت في ذلك الوقت تحاول مزج الاشتراكيّة بالمبادئ الإسلاميّة في سعيها نحو شكل جديد من الاشتراكيّة، كما كان للجزائر تحالف قويّ مع كوبا؛ حيث قدّم المقاتلون الكوبيّون في حالات الصِّراع الّتي شملت الجزائر إلى جانب الدَّعم اللوجستيّ من مصر مساعدة حاسمة. إلى جانب كوبا قدّمت الجزائر باستمرار الدَّعم العسكريّ، والدّبلوماسيّ، واللوجستيّ لحركات التَّحرُّر الإفريقيَّة الأخرى.

ظلّت الكونغو بعد حصولها على الاستقلال السّياسيّ تعتمد اقتصاديّاً، وعسكريّاً على بلجيكا، حيث سعى باتريس لومومبا، وجماعته إلى كسر قبضة بلجيكا، ولكنَّ الولايات المتَّحدة، وبلجيكا تعاونتا لتقويض لومومبا. وفي النِّهاية تعرّض لومومبا للتَّعذيب، والقتل بتواطؤ من مواطنيه. وردّاً على ذلك خطّطت الجزائر لعمل انتقامي؛ فدعمت الحزب الشّيوعيّ في الكونغو. وعلى الرّغم من فشل العمليّة، فقد واصلت الجزائر دعم الحركة بالإضافة إلى نضالات مختلفة في أنغولا ضدّ الاستعمار البرتغاليّ.

أصبحت الجزائر أيضاً قاعدة لمنظَّمة التَّحرير الفلسطينيّة، وقد رحبت الجزائر بآلاف الفلسطينيّين الّذين لا يزال الكثير منهم يعيشون هناك. وفي أعقاب توسّع إسرائيل عام ١٩٦٧ خلال حربها ضدّ سوريا، والأردن، ومصر اندلعت احتجاجات في جميع أنحاء العالم العربي، وفي الجزائر استهدفت مظاهرات حاشدة الممثليّات الأمريكيَّة، والمراكز الثَّقافيّة، ورفض الشَّعب الجزائريّ قبول الهزيمة، وأرسلت الجزائر جنوداً إلى مصر على الرّغم من أنّ مصر لم تتمكّن من مواصلة القتال.

كانت علاقات الجزائر بحرب فيتنام، والثَّورة عميقة أيضاً، حيث ألهم نضال الثُّوَّار الفيتناميّين جبهة التَّحرير الوطنيّ، ممّا منحهم القوَّة والأمل في تحقيق النّصر. وقد دعا حركة «الفهود السَّوداء» خلال حرب فيتنام، المجتمع الأمريكيّ من أصل أفريقيّ إلى مقاومة المشاركة في الصِّراع، وفرّ العديد من قادته إلى الجزائر طلباً للّجوء. وفي السّبعينيَّات، قدّم الجزائريّون أيضاً ملاذاً آمناً للمقاتلين البرازيليّين من أجل الحرّيَّة، ممّا رسّخ مكانة الجزائر كمركز لحركات التَّحرُّر الإفريقيَّة، والعالميّة.

نضال زاباتيستا (Zapatista) للتَّحرير:

أ- يُمثل زاباتيستا الحركة الأُمَمِيَّة المعاصرة المناهضة للاستعمار، ولم يتمثّل نضالهم في رفض هياكل السُّلطة التَّقليديّة فحسب، بل في قدرته على التّكيّف، والابتكار ضمن الإطار المناهض للاستعمار في عصرهم أيضاً. وقد وصف القائد ماركوس نضالهم ذات مرّة على النَّحو التَّالي: «ماذا يريد زاباتيستا؟ الاستيلاء على السُّلطة؟ لا. بل شيء أكثر صعوبة، عالم جديد.»

ظهر نضال تحرير جيش زاباتيستا للتَّحرير الوطنيّ في عام ١٩٩٤، في وقتٍ كانت فيه العولمة النّيوليبراليّة، والهيمنة الاقتصاديّة تعزّز قبضتها على المجتمعات المهمَّشة في جميع أنحاء العالم. وهذا السّياق هو الّذي يميّز الزّاباتيستا، حيث ثاروا ليس ضدّ القوى الاستعماريَّة الكلاسيكيَّة فقط، بل ضدّ توغّل السّياسات النيوليبراليّة الّتي سعت إلى تجريد المجتمعات الأصليّة من أراضيها، واستقلالها الذَّاتيّ أيضاً. وقد تزامن تمرّدهم هذا مع تنفيذ اتّفاقيَّة التّجارة الحرَّة لأمريكا الشّماليَّة (نافتا)، وهي معاهدة اعتبروها شكلاً جديداً من أشكال الاستعمار الاقتصاديّ الّذي هدّد سبل عيش السّكَّان الأصليّين في المكسيك.

وفي نضالهم ضدّ الليبراليّة الجديدة، والاستغلال، ومن أجل المساواة بين الجنسين انفصل الزّاباتيستا عن الحركات اليساريّة التَّقليديّة، فقد رفضوا سلطة الدّولة، والهياكل الهرميّة النَّموذجية للعديد من المنظَّمات الثَّوريّة.

وبعد انقلاب عام ١٩٦٥ ضدّ بن بلة تغيّرت السِّياسة الدَّاخليَّة في الجزائر، وبحلول أوائل السّبعينيَّات، بدأت الحكومة الجزائريّة في التَّقارب مع الولايات المتَّحدة. لم يغيّر هذا العلاقات الاقتصاديّة للجزائر فحسب، بل غيّر توجّهها الدّبلوماسيّ والسّياسيّ أيضاً؛ حيث سعت الولايات المتَّحدة إلى كبح النّفوذ الإيديولوجيّ للقوى الاشتراكيّة الّتي انجذبت إلى الجزائر. وعلى الرّغم من هذا التّحوّل فقد ظلت الجزائر لأكثر من عقد من الزّمان موطنًا للثّوَّار من جميع أنحاء العالم.

وتوضّح هذه الأمثلة كيف شكّلت الحركات المناهضة للاستعمار تحالفات دوليَّة، وقاتلت معاً على أساس عالميّ مع وجود الجزائر في قلب هذه الجهود، يدعون إلى الدّيمقراطيَّة المباشرة، والحكم الذَّاتيّ داخل مجتمعاتهم، ويبرز تركيزهم على صنع القرار الجماعيّ، والقيادة الأفقيّة كنموذج مبتكر للمقاومة.

في يونيو ٢٠٠٥، أصدرت زاباتيستا «الإعلان السَّادس من غابة لاكاندون»، مقترحين «الحملة الأخرى» المناهضة للرَّأسماليَّة. وقد هدفت هذه الحملة إلى بناء حركة جماهيريّة خارج البرلمان «من الأسفل وللأسفل»، وتوحيد السّكَّان المهمّشين في المكسيك من أجل صياغة دستور جديد، وتنفيذه في نهاية المطاف.

والأهمّ من ذلك، أنّ رؤية زاباتيستا لا تتعلّق بالاستيلاء على سلطة الدُّولة، بل بتفكيك الأنظمة القمعيَّة مع بناء بدائل تعطي الأولويّة لسيادة السّكَّان الأصليّين والعدالة الاجتماعيَّة والرّفاه الجماعيّ.

أصدر أعضاء زاباتيستا بيانات بشكل مستمرّ معربين عن تضامنهم مع النِّضالات الدُّوليَّة، وبحكم النَّظر إلى حركتهم على أنَّها جزء من مقاومة عالميّة أكبر ضدّ الرَّأسماليّة، والاستعمار، والهيمنة الأبويّة.

وقد استضافوا فعاليَّات دوليّة مهمّة، بما في ذلك تجمّع نسائيّ في تشياباس ممَّا يسلّط الضَّوء على التزامهم بالمساواة بين الجنسين، ودور المرأة في الحركات الثَّوريّة. ففي عام ٢٠٢١ سافروا حول العالم للتَّواصل مع حركات أخرى، ولتوصيل رؤيتهم للنِّضال بشكل أفضل.

إنّ قدرتهم على الصّمود في وجه الدّولة المكسيكيّة مع الاستمرار في بناء مجتمعات مستقلَّة مكتفية ذاتيّاً تجعل زاباتيستا مثالاً قويّاً على نضال مناهض للاستعمار في القرن الحادي والعشرين، ولا يزال إصرارهم على خلق «عالم تتّسع فيه عوالم عديدة» سمة مميّزة تُظهِر تفانيهم في التّنوّع، والشّموليّة، وترابط النِّضالات في جميع أنحاء العالم.

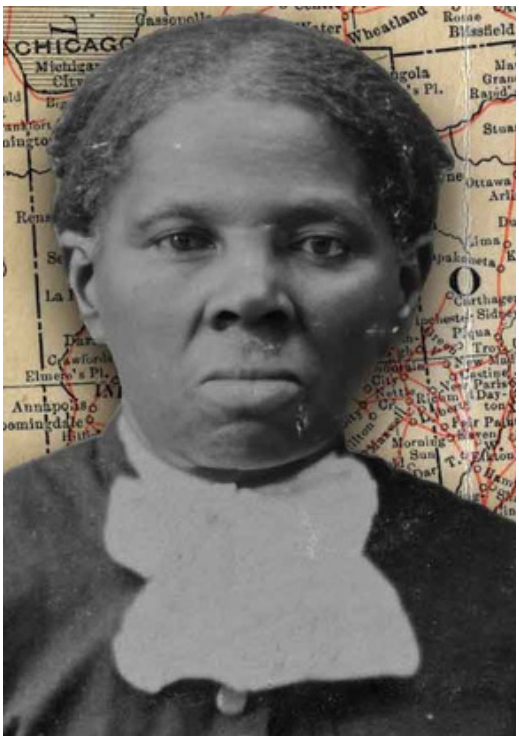

المرأة في مسيرة الكفاح المناهض للاستعمار:

غالباً ما يُهمَّش الدّور الحيويّ للمرأة في روايات نضالات التَّحرُّر الوطنيّ، حيث يمكن أن يُعزى هذا الإغفال إلى سببين رئيسيّين: أوّلاً: في حين أنّ التَّحرُّر الوطنيّ قد يحقّق الاستقلال السّياسيّ، فإنَّه غالباً ما يفشل في معالجة الاستغلال المنهجيّ للمرأة، والّذي يسبق الاستعمار نفسه، ويتعمَّق فيه، ولهذا السّبب يشير السَّيِّد عبد الله أوجلان إلى المرأة على أنّها «المُستعمرة الأولى». ثانياً: غالباً ما تكون أطرنا التَّاريخيّة، وروايتنا انتقائيّة، فمن خلال عدم تسليط الضَّوء على شخصيّات مثل هاريت توبمان[٣]، أو هفال سارا[٤]، فإنّنا لا نمحو مساهماتهن فحسب، بل نحجب أيضاً فصلاً كاملاً من تاريخنا الجماعيّ.

٣ كانت هاريت توبمان ناشطة أمريكيّة في مجال إلغاء العبوديّة، وناشطة اجتماعيّة. بعد هروبها من العبوديّة، قامت توبمان بحوالي ١٣ مهمّة لإنقاذ ما يقرب من ٧٠ شخصاً مستبعداً.

٤ هفال سارة أو ساكينة جانسيز، كانت إحدى المؤسّسات المشاركات لحزب العمّال الكردستانيّ. ناشطة كرديّة في ثمانينيّات القرن الماضي، اعتُقلت وعُذِّبت على يد الشُّرطة التُّركيّة. كانت من المقرّبات للسيّد عبد الله أوجلان، وعضوة بارزة في حزب العمّال الكردستانيّ، وقُتلت بالرّصاص خلال عمليّة الاغتيال الثّلاثيّة للنّاشطات الكرديّات في باريس، فرنسا، في ٩ يناير/كانون الثاني ٢٠١٣، إلى جانب ناشطتين كرديّتين أخريين، فيدان دوغان، وليلى شويلماز.

تجسّد النّساء في النِّضالات المناهضة للاستعمار الأُمَمِيَّة المناهضة للاستعمار. لقد أدركن ذلك مبكّراً أنّ اضطهاد المرأة كان قضيّة عالميّة تتجاوز الحدود الوطنيّة، حيث أدركت هؤلاء النّساء أنّ القوى نفسها الّتي سعت إلى الهيمنة على أوطانهن كانت مسؤولة أيضاً عن إخضاع جنسهنّ لذلك لم تكن مقاومتهنّ تتعلّق بالسّيادة الوطنيّة فحسب، بل أيضاً بكسر قيود النِّظام الأبويّ، والاستغلال القائم على النَّوع الاجتماعيّ، وقد أضفى هذا الإدراك المزدوج على نضالاتهن تفانياً، وشغفاً لا مثيل لهما.

تقدّم حركة النّساء الكرديّات، على سبيل المثال، العديد من الأمثلة الّتي لم تشارك فيها النّساء فحسب، بل شكّلن مسار التّاريخ بشكل أساسيّ. إنّ «جميلة» من جبهة التّحرير الوطنيّ، والشّهيدة «زيلان[٥]؟، وشقيقات «ترونغ[٦]» من فيتنام - اللواتي قدن جيشاً مؤلّفاً من ٨٠ ألف مقاتل ضدّ الاحتلال الصّينيّ - جميعهنّ يشهدن على الدّور المحوريّ للمرأة في هذه النِّضالات.

إنّ الاستعمار ليس مجرَّد إرث من الماضي، بل يتجلّى بأشكال جديدة اليوم، ممَّا يجعل التَّفاعل مع دروس التَّاريخ أكثر أهمّيَّة، وتؤكّد مشاركة المرأة في هذه الحركات على أهمّيَّة المنظور الأمميّ في مكافحة كلّ من الاستعمار، والنِّظام الأبويّ. ومن خلال قصصهن نجد فهماً أعمق لكلّ من الماضي والنِّضال المستمرّ من أجل التَّحرُّر الحقيقيّ.

فرانتز فانون: القوَّة الثَّوريّة للمقاومة المسلَّحة في الكفاح ضدّ الاستعمار:

في هذا السّياق يبرز فرانتز فانون كشخصيّة محوريّة في تاريخ الكفاح ضجّ الاستعمار. وباعتبار أنّنا شعبٌ مُستعمَرٌ فمن الضّروري فهم وضعنا، وعلم الاجتماع الخاصّ بنا من أجل إيجاد حلول واقعيّة، ومن المهمّ بالقدر ذاته أن نُسلِّط الضَّوء على أولئك الّذين نشأوا في دول استعماريَّة، ولهذا السَّبب تظلّ قراءة فانون ذات أهمّيَّة بالغة. لقد كان من أوائل الّذين حلَّلوا نفسيَّة كلّ من المُستعمَر، والمُستعمِر. ونظر فانون إلى الاستعمار على أنّه نظام هيمنة سياسيّ مميت يتجلَّى حتماً من خلال المجازر، والاستغلال.

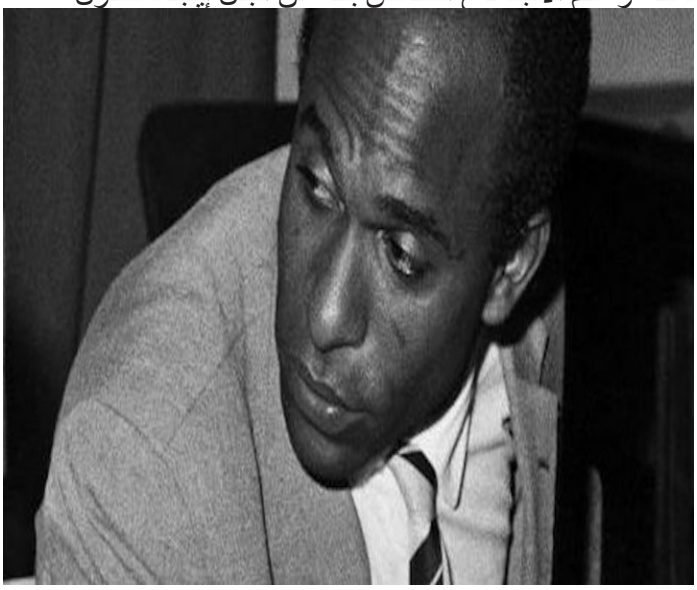

كتب فانون: «يجب على المستعمَر الّذي سقط على ركبتيه، ولم يستطيع سوى الصّراخ أنْ يعود إلى نفسه، حتَّى لو تطلب ذلك عنفاً، عندها فقط سيرتقي

٥جميلة بوحيرد، مناضلة قوميّة جزائريّة، عارضت الحكم الاستعماريّ الفرنسيّ للجزائر كعضوة في جبهة التّحرير الوطنيّ.

٦زينب كيناجي، الملقّبة بزيلان، كانت عضوة في حزب العمّال الكردستانيّ، واشتهرت بتنفيذها أوّل هجوم تضحية بالنفس. وقد أثرت الطَّريقة الّتي نفذت بها ذلك على دور المرأة داخل حزب العمّال الكردستانيّ. كانت الأختان ترونغ قائدتين عسكريّتين من قبيلة لويوي، حكمتا لمدّة ثلاث سنوات بعد قيادتهما لتمرّد قبائل لويوي وقبائل أخرى في عام ٤٠ ميلادي ضدّ أوّل هيمنة صينيّة على فيتنام.

ليقف على مستوى الآخرين؛ حيث يظهر ذات جديدة بين الدّم والغضب، ومن خلال هذا يستطيع الإنسان أن يخلق إنساناً جديداً، بالنّسبة لفانون، لا يمكن التَّغلُّب على الاستعمار المفروض من خلال العنف الوحشيّ إلّا بالرّدّ بالعنف، فالرّصاصة الأولى تحطّم الوجود الّذي صنعه الاستغلال وتذيب القمع والخوف، حيث يعيد الفرد خلق نفسه من خلال هذا الفعل.

عندما أُطلقت أوّل رصاصة حرب عصابات على المستعمرين في إيروه، وشمدينلي في كردستان في ١٥ أغسطس ١٩٨٤ فقد غيّرت أمرين بشكلٍ جذريّ: الخوف المتجذّر في عقول الشَّعب الكرديّ، ونفسيّة المجتمع. لقد غيّرت كلاً من الشَّعب، والمقاتلين، ومكّنتهم من إعادة تعريف أنفسهم كبشر.

تتقاطع أفكار لينين، وروزا لوكسمبورغ مع نقد فانون للقوميّة، فقد انخرط كلّ من لينين، ولوكسمبورغ في مناقشات مهمّة حول المسألة القوميّة، بينما أدركت لوكسمبورغ المخاطر الّتي تشكّلها الدّول القوميّة على الاشتراكيّة، وأكّدت على الحاجة إلى وعي دوليّ أقوى، إلّا أنّها افتقرت إلى حلول ملموسة لمواجهة السُّلطة المركزيَّة. من ناحية أخرى، فهم لينين الأوجه المتعدّدة للاستعمار وأدرك أنّ إنكار حقّ تقرير المصير يدعم في جوهره هيمنة الدّول الحاكمة. بالنّسبة لكلا المفكّرين، كانت القوميّة قوَّة معقّدة - قوَّة يمكن أن تسهّل التَّحرير، أو تعزّز أشكالاً جديدة من القمع.

ومع ذلك، فإنّ التوتّرات الّتي لم تُحلّ في مناقشاتهم تثير السّؤال: ما هو حلّ الحرّيَّة، والنِّضال المناهض للاستعمار اليوم؟

ما وراء الدُّوليَّة القوميّة: طريق ثوريّ نحو التَّحرُّر الحقيقيّ:

مـن خـلال تجاربنـا، وتأمّلاتنـا أدركنـا أنّ الدُّوليَّـة القوميّـة مناهضـة للاشـتراكيّة، والدّيمقراطيَّـة بشـكل أساسـي. لقـد أجبرنـا انهيـار الاشـتراكيّة المشـيّدة علـى مواجهـة مفهـوم الدُّوليَّـة القوميّـة، ممّـا دفعنـا إلـى التَّعمـق أكثـر فـي طبيعة سـلطة الدّولـة. ظهـرت الدّولـيّ القوميّـة عبـر التَّاريـخ لتأميـن رأس المـال، وترسـيخ الهيمنـة الرَّأسـماليّة؛ ولهذا السَّـبب أصبحـت الدُّوليَّـة القوميّـة أهـم أداة للهيمنـة الرَّأسـماليّة. علـى هـذا النَّحـو، ولا يمكـن إيجـاد الحرّيَّـة الحقيقيّـة ضمـن قيـود الـدّول القوميّـة، ويجـب أن تتحـرّر الاشـتراكيّة مـن قيـود هـذا النَّمـوذج.

لا يمكـن للاشـتراكيّة، كنظـام مناهـض للرَّأسـماليّة، الاعتمـاد علـى نمـوذج الدُّوليَّـة القوميّـة. إنّ حصـر الاشـتراكيّة ضمـن حـدود الدّولـة القوميّـة المركزيَّـة هـو خطـأ جوهـريّ، فـلا يمكـن للـدّول القوميّـة، بطبيعتهـا، أن تكـون حـلاً للاشـتراكيّين.

يجـب أن نوسّـع نطـاق تفكيرنـا ليتجـاوز إنشـاء دول قوميّـة مصغَّـرة للمضطهديـن، والّتـي غالبـاً مـا ينتهـي بهـا المطـاف إلـى خدمـة البرجوازيّـة فقـط – هـي ذاتهـا الطَّبقـة العليـا الّتـي سـاعد الاسـتعمار فـي تشـكيلها. لقد أظهـرت العديـد مـن نضـالات التَّحرير أنّ الاسـتغلال والمظالـم لا تنتهـي بالاسـتقلال، لذلـك، مـن الأهمّيَّـة بمـكان توضيـح المهمّـة الثَّوريّـة بعـد التَّحرير، لـذا يجـب علـى الوعـي الاجتماعـيّ، والسّياسـيّ، والاقتصـاديّ تفكيـك الوعـي القومـيّ؛ لأنّـه بمجـرَّد التَّحـرُّر، سـتدخل المجتمعـات فـي منافسـة شرسـة بيـن الرَّأسـماليّة، والاشـتراكيّة.

ولتجنّـب الوقـوع فـي فـخ الحداثـة الرَّأسـماليّة كمـا فعلـت العديـد مـن الحـركات عبـر التَّاريـخ يجـب أن نعمـل بجـدّ أكثـر مـن أيّ وقـت مضـى لتغييـر عقليَّـة الشَّـعب.

لذلك من الضّروريّ ما يلي:

١. تسييس الجماهير.

٢. لامركزيَّة الحركة الثَّوريّة من خلال تناوب صارم للقيادة، ومشاركة شعبيَّة.

٣. وضع برنامج اقتصاديّ يركّز على توزيع الثّروة، وإعادة تشكيل العلاقات الاجتماعيَّة.

يجـب أن يكـون الوعـي السّياسـيّ متشـابكاً مـع مشـاركة عميقـة، وفعّالـة مـع الشَّـعب. وكمـا يُشـير السَّـيّد عبـد الله أوجـلان، فـإنّ الهـدف هـو تنميـة مجتمـع سياسـيّ، وأخلاقـيّ. ففـي البدايـة اعتقـد الكثيـرون

أنّ الدّولـة المستقلّة سـتجلب الحرّيّـة. لكـنَّ الدّولـة غالبـاً مـا تتعـارض بشـكل مباشـر مـع الدّيمقراطيَّـة الحقيقيّـة، بـدلاً مـن ذلـك يجـب علينـا بنـاء مجتمـع أخلاقـيّ، وسياسـيّ قائـم علـى المشـاركة، والوعـي.

يؤكّـد فانـون مثـل عبـد الله أوجـلان أنّ إنهـاء الاسـتعمار ليـس سـوى الخطـوة الأولـى نحـو الحرّيَّـة الحقيقيّـة، بينمـا يتحـدّث فانـون عـن «أمَّـة جديـدة»، فإنَّنـا نتحـدَّث عـن مفهـوم الأمَّـة الدّيمقراطيَّـة، وهـذا موضـوع يسـتحقّ المزيـد مـن البحـث، وفـي الوقـت الحالـي مـن المهـمّ جـدّاً ملاحظـة أنَّـه فـي حيـن أنّ التَّحـرُّر الوطنـيّ ضـروريّ فـي النِّضـالات الاسـتعماريَّة، فـإنّ تشـكيل الدّولـة غالبـاً مـا يكـون وسـيلة لتراكـم السُّـلطة.

التَّغلُّب على العقليّات الاستعماريَّة: انتحار الطَّبقة:

كيف يمكننا ضمان ألّا تقع ثورتنا تحت تأثير العقليَّة الخاطئة؟

يُظهـر تحليـل فانـون، بالإضافـة إلـى تجاربنـا الخاصَّـة المناهضـة للاسـتعمار، أنّ العديـد مـن النِّضـالات تبـدأ بأفـراد مـن دول مسـتعمرة يلتحقـون بجامعـات القـوى الاسـتعماريَّة، حيـث يتعرّضـون هنـاك للحقائـق القاسـية حـول الاسـتعمار، وهـذا يخلـق تناقضـاً داخليّـاً عميقـاً، حيـث يواجـه المسـتعمرون أكبـر صراعاتهـم وهـم بعيـدون عـن ديارهـم، ومنغمسـون فـي النِّظـام التَّعليمـيّ للدَّولـة الاسـتعماريَّة.

عنـد هـذه النَّقطـة، يواجـه كلّ فـرد خيـاراً: إمّـا الاندمـاج فـي النِّظـام، أو النِّضـال ضـدّه، ومـع ذلـك يبـرز التَّحـدّي عندمـا يعـود أولئـك الّذيـن تلقّـوا تعليمهـم فـي الخـارج للعمـل مـن أجـل الثَّـورة بينمـا لا يزالـون يعملـون مـن منظـور امتيازاتهـم السّياسـيّة والطَّبقيّـة. ويمكـن أن يـؤدّي هـذا الانفصـال إلـى مشـاكل؛ حيـث لـم يعـد واقعهـم الاجتماعـيّ متوافقـاً مـع واقـع الأشـخاص الّذيـن مـن المفتـرض أن يخدمـوهـم.

لقـد أدرك السَّـيِّد عبـد الله أوجـلان هـذه المشـكلة، وقـدّم حلـولاً مـن خـلال التَّحليـل الشّـخصيّ، وتركّـز فـي حركـة حرّيَّـة كردسـتان بشـكلٍ قـويّ علـى النّقـد الذَّاتـيّ، والتّأمّـل الشَّـخصيّ للتَّغلّـب علـى تأثيـر عقليَّـة الدُّولـة، والاسـتعمار. وتتمثّـل إحـدى المهـام الثَّوريّـة الرّئيسـيّة فـي خلـق عقليَّـة حـرَّة، وتطويـر آليَّـات تقـاوم السّـلوكيّات المتجـذّرة فـي الحداثـة الرَّأسـماليّة، والنِّظـام الأبـويّ، ونظـام الدُّوليَّـة، وهـذا يعنـي الانخـراط مباشـرة فـي النِّضـالات الوطنيّـة، والتَّعلّـم مـن المجتمـع. يشـار إلـى هـذه العمليّـة التَّحويليّـة أيضـاً باسـم «انتحـار الطَّبقـة».

لقـد تمَّـت الإشـارة إلـى أنّـه عندمـا ينضـمّ أشـخاص مـن أوروبَّـا، أو خلفيَّـات اسـتعماريَّة أخـرى إلـى ثورتنـا، فـإنّ عقليَّاتهـم الأوروبيّـة المركزيَّـة، والاسـتعماريَّة الجديـدة قـد تخلـق مشـكلة، ولكـن مـن خـلال

النَّقد الذَّاتـيّ، والتَّحليـل، والآليّـات الجماعيّـة نجـد أنّـه مـن الممكـن للجميـع تحريـر أنفسـهم مـن هـذه التّأثيـرات. وفـي الواقـع يعـد هـذا التّحـوّل الشَّـخصيّ أمـراً ضروريّـاً؛ لأنَّـه اسـتجابة مباشـرة للإمبرياليّة، وعمـل عميـق مـن أعمـال الأُمَمِيَّـة، فـلا يوجـد نقـد ذاتـيّ، أو تحـدٍّ أكبـر للتَّاريـخ الاسـتعماريّ مـن الانضمـام إلـى النِّضـالات الثَّوريّـة فـي الحـركات المناهضـة للاسـتعمار.

مهمّتنـا هـي الدِّفـاع عـن المسـاحات الثَّوريّـة، لا سـيَّما حيـث تكـون الحداثـة الرَّأسـماليّة أضعـف مـا يكـون. وفـي هـذه الأماكـن يجـب أن نعيـد الاتّصـال بأنفسـنا، وإذا لـزم الأمـر أن نتخلّـى عـن كلّ مـا شـكّله نظـام الدُّوليَّـة. ويتمثَّـل أكبـر تحـدٍ نواجهـه اليـوم فـي أنّ الحداثـة الرَّأسـماليّة قـد سـلبتنا حرَّيّتنـا، وقيمنـا الجماعيّـة.

لهـذا السَّـبب يجـب أن نتعلّـم مـن زاباتيسـتا، وحركـة حرّيَّـة كردسـتان، والشّـعوب الأصليَّـة الأخـرى. يجـب أن نعيـد الاتّصـال بالطَّبيعـة، ونعيـد اكتشـاف حقائقنـا الحقيقيّـة، كمـا قـال سـارتر: «هـذه قصّـة أخـرى؛ قصّـة الشَّـعب. فالزّمـن يعلّـم. وأنـا متأكّـد مـن أنَّنـا سـننضمّ إلـى أولئـك الّذيـن يكتبـون هـذا التَّاريـخ».

٧- حركة ١٩٦٨

وصف وشروط ١٩٦٨ التَّاريخيّة:

بدلاً من الانغماس في سرد مفصّل لكلّ ما حدث، ينبغي أن يكون هدفنا هو تحديد ما يمكننا تعلّمه من التَّجارب التَّاريخيّة وكيف يمكن أن تُثري استراتيجياتنا للمستقبل. يجب أن يكون نهجنا دائماً ذا شقين: تعميق فهمنا لهذه الأحداث مع ربطها بواقعنا الحاليّ، واستخدام تلك المعرفة لتشكيل استراتيجيّاتنا المستقبليَّة.

كانت أواخر السّتّينيَّات فترة زمنيّة ذات أوصاف عديدة: رياح ٦٨، وثورة ١٩٦٨، واحتجاجات ١٩٦٨، وعام الثَّورة، وعام المتاريس. إنّ أحد التناقضات الأولى الّتي نواجهها هو كيفيَّة تسمية النّاس لهذه الفترة؛ فبعضهم يسمّيها زمن الثَّورة، والبعض الآخر يشير إليها على أنّها زمن الثَّورات، لذا يتطلّب فهم هذه الفترة من الثَّورة في التَّاريخ الاشتراكيّ بمنظورٍ أوسع، فهي لم تكن محصورة في منطقة، أو دولة واحدة، بل كانت حركة عالميّة امتدَّت على مدى فترة طويلة، في حين أنّه في الدّوليّ الغربيّة، قد يبدو الأمر وكأنّه نتاج لحظات تاريخيَّة سابقة، إلّا أنّ الثَّورات كانت تحدث في وقتٍ واحد، وبشكلٍ مترابط في جميع أنحاء العالم.

نحن بحاجة إلى دراسة الجيل الّذي قاد هذه الانتفاضات الطّلابيّة والشّبابية في الغالب، ففي سياق الحرب الباردة، وما بعد الحرب العالميّة الثَّانية، وصعود دول الرفاه، كان جيل جديد - يُشار إليه غالباً باسم جيل «طفرة المواليد» – يبدأ بالظّهور. لقد رفض هذا الجيل قيم الأجيال الأكبر سنّاً، وكانوا على استعداد لمواجهة حكوماتهم، ومجتمعهم ككلّ، وتبنّوا رؤية للتّغيير الجذريّ من شأنها أن تترك أثراً دائماً على السِّياسة، والثَّقافة العالميّتين.

على الصَّعيد العالميّ، تميّز عام ١٩٦٨ بتصاعد الصِّراعات الاجتماعيَّة الّتي اتَّسمت بالاحتجاجات ضدّ سلطة الدّولة، والبيروقراطيّة، بينما اختلفت التَّفاصيل من بلدٍ إلى آخر، إلّا أنّ هناك خيوطاً مشتركة، خاصَّة في الدّول الصِّناعيَّة، فكان هناك رفضٌ واسع النِّطاق للنَّزعة الاستهلاكيّة الرَّأسماليّة الّتي نمت بعد الحرب العالميّة الثَّانية، فضلاً عن عدم الرّضا عن السُّلطة بشكل عام. لقد شهدت هذه الفترة أيضاً رفضاً لكلّ من الرَّأسماليّة الغربيّة، والاشتراكيّة على النَّمط السُّوفييتيّ، حيث بحث النّاس عن «طريق ثالث»، لقد كان وقتاً للتَّساؤل والاستكشاف العميقين، والّذي أشير إليه لاحقاً بظهور «اليسار الجديد».

كانت حركة ١٩٦٨ في جوهرها، تدور حول إيجاد بدائل للأنظمة الّتي هيمنت على عالم ما بعد الحرب – سياسيّاً، وثقافيّاً. لا تكمن أهمّيَّة هذه الحركة في الأحداث نفسها فحسب، بل في الطَّريقة الّتي دفعت بها جيلاً إلى إعادة التّفكير في مستقبله والسَّعي إلى شيء مختلف جذرياً.

إنّ أحد الأسباب الشَّائعة للانتفاضات، وأودّ أن أسمّيها انتفاضات أكثر منها ثورات؛ لأنّه على

الرّغم من وجود روح وطاقة ثوريّة، إلّا أنّها لم تصل أبداً إلى المستوى المطلوب لثورة شاملة، فهو الطّبيعة العالميّة للاضطرابات، وقد حملت هذه الانتفاضات واسعة النِّطاق إمكانات ثوريّة هائلة، وكان أحد المواضيع المهمّة هو النِّضالات المناهضة للاستعمار، والرَّوابط الّتي وحّدتها، والمثال الرّئيسيّ على ذلك هو حرب فيتنام، وهي لحظة تمّ فيها عرض الإمبرياليّة الأمريكيَّة بشكل واضح للعالم، ووقف النَّاس بحزم ضدّها.

ما جعل هذه الفترة فريدة من نوعها هو أنّه، ولأوّل مرّة في التَّاريخ، جلب التّلفزيون - الموجود الآن بشكل شائع في المنازل - الأحداث العالميّة إلى غرف معيشة النَّاس، حيث تمَّ بثّ وحشيّة الجيش الأمريكيّ في فيتنام وقمع الشُّرطة للمتظاهرين إلى جمهور واسع، ممّا خلق وعياً مشتركاً ساعد على ربط النَّاس عبر الحدود، وأدَّى هذا أيضاً إلى تزايد حاجة الدّول إلى رقابة أكثر صرامة على وسائل الإعلام. بعد عام ١٩٦٨، أدركت الحكومات أهمّيَّة السَّيطرة على السّرد من خلال وسائل الإعلام.

في هذه الفترة، ظهرت تيارات سياسيَّة وإيديولوجيّة متنوّعة نربطها الآن بـ «اليسار الجديد»، حيث سادت روح العفويَّة، والتَّوقّعات العالية للتَّغيير. ومن أشهر الشِّعارات الّتي جسّدت هذه الطّاقة: «كلّ القوَّة للخيال»، و»ممنوع المنع»، و»كن واقعيّاً، واطلب المستحيل»، و»نريد العالم، ونريده الآن»، و»لا تثق بأيّ شخص فوق سنّ الثَّلاثين». وكان من الشّعارات الشّائعة الأخرى: «إذا لم تكن جزءاً من الحلّ، فأنت جزء من المشكلة»، حيث تعطينا هذه الشّعارات فكرة عن مزاج ومُثُل الحركة على نطاق عالميّ.

لفهم هذه الحركة بشكل أكثر شمولاً، نحتاج أيضاً إلى النَّظر في كيفيَّة حدوثها محلّيّاً، حيث كان لكلّ بلد وحركة ظروفها واختلافاتها الخاصَّة. سأقدّم فقط بعض الأمثلة الرّئيسيّة لهذه السّياقات المحلّيّة.

فرنسا:

تُعدّ فرنسا موضوعاً بالغ الأهمّيَّة للنّقاش لأنّها غالباً ما يُشار إليها على أنّها قلب وروح الحركة، لا سيَّما في سياق الدّول الغربيّة. ففي ذلك الوقت، كانت هناك أزمة عالميّة في التّعليم العالي، ممّا دفع الطّلاب إلى الاحتجاج والنّزول إلى الشّوارع. حيث بدأ كمظاهرة يقودها الطّلاب سرعان ما تصاعدت إلى حركة جماهيريَّة، ونما ليصبح تمرداً شعبيّاً شارك فيه أكثر من ١١ مليون

شخص، وكانت إحدى اللحظات الرّئيسيّة في الانتفاضة الفرنسيَّة هي انضمام العمَّال إلى الطّلاب، ممَّا حوّل الاحتجاج من قضيّة طلابيّة إلى حركة اجتماعيَّة واسعة النِّطاق، في حين أن فرنسا لم تكن تواجه أزمة اقتصاديّة مثل الدّول الأخرى، رأى العمَّال، الّذين عانوا طويلاً من القمع، في ذلك فرصة لتأكيد هويّتهم.

ففي ٣٠ مايو، أدَّى إضراب عام إلى شلّ البلاد، وانضمّ العمَّال من جميع القطاعات، بما في ذلك المطارات والصّناعات الرّئيسيّة الأخرى، وانهارت الأمَّة بأكملها بشكل أساسيّ. في هذه المرحلة، بدا الأمر كما لو أنَّ الحركة على وشك إسقاط الحكومة وأنّ الشَّعب سيأخذ السُّلطة في أيديه، فأصبح الوضع شديد الخطورة لدرجة أنّه كان لا بد من إجلاء رئيس فرنسا. في هذه اللحظة الحرجة، بدأ النَّاس في أخذ الأمور بأيديهم - تنظيم أسعار المواد الغذائيّة، وبذل الجهود لإنشاء جمعية وطنيَّة، واستلهام الإلهام من كومونة باريس من خلال تنظيم أنفسهم. ولم يعد الأمر يتعلّق بالاحتجاجات فحسب؛ فقد انخرط النَّاس بالفعل في أنشطة عمليّة مثل بدء مشاريع البناء، ممَّا يدل على محاولة حقيقيّة لبناء نظام اجتماعي جديد من القاعدة إلى القمة.

ومع ذلك، وعلى الرّغم من هذا الزَّخم الثَّوريّ، فقد تمّ تقويض الحركة الشّعبيَّة في نهاية المطاف من قبل الحزب الشّيوعيّ الفرنسيّ، والنّقابات العمّاليَّة، وكلاهما خان القضيّة. تفاوضت الدّولة على اتّفاقيَّات غرينيل، الّتي قدّمت إصلاحات عمل متواضعة، وتنازلات اقتصاديّة، وعاد العديد من العمَّال إلى وظائفهم، وبدأ الحماس الثَّوريّ في التّلاشي. بعد ذلك عزّزت انتخابات برلمانيَّة جديدة حزب ديغول، وانتهى الزَّمن الثَّوريّ في فرنسا.

تشيكوسلوفاكيا:

يُعدّ ربيع براغ عام ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا لحظة حاسمة أخرى تستحقُّ النِّقاش، فقد كانت تشيكوسلوفاكيا جزءاً من الكتلة الشّرقيّة، تحت تأثير سوفييتيّ كبير. والأحداث الّتي وقعت هناك مثال قويّ على كيفيَّة تحليل التَّاريخ بعين ناقدة. ومن المهمّ عدم تمجيد الماضي، بل اتّباع نهجٍ واضح، ومتأمّل. ففي عام ١٩٦٨، هدفت حركة إصلاحيّة تُعرف باسم «الاشتراكيّة ذات الوجه الإنسانيّ»، بقيادة ألكسندر دوبتشيك، إلى تحرير النِّظام الشّيوعيّ في البلاد، والحدّ من الطَّبيعة القمعيَّة، والدُّوغمائيّة للستالينيّة, وشهدت البلاد انتفاضات طلابيّة كبيرة ومطالبات شعبيَّة بالتَّغيير ممَّا عكس رغبة أوسع في اشتراكيّة أكثر ديمقراطيّة، وتقدّميّة.

واجه دوبتشيك، زعيم الحزب الشّيوعيّ الّذي قاوم النِّظام السّلوفاكي الموالي للنَّازيّة خلال الحرب العالميّة الثَّانية، ضغوطاً متزايدة حيث لم يكن الاتّحاد السُّوفييتيّ، وحلفاؤه في حلف وارسو على استعداد للتَّسامح مع هذه الإصلاحات. وفي أغسطس ١٩٦٨ غزت قوَّات حلف وارسو تشيكوسلوفاكيا، واستبدلت الحكومة الّتي كانت تحاول الاستماع إلى مطالب الشَّعب بالتّغيير، فأوقف التّدخّل السُّوفييتيّ فجأة هذه المحاولة للإصلاح، وأسكت الانتفاضة، وسحق ربيع براغ، وأُجبر على العودة إلى السّياسات المتشدّدة. أدَّى هذا الغزو إلى فترة من «التَّطبيع»، عادت خلالها تشيكوسلوفاكيا إلى سيطرة صارمة على النَّمط الستالينيّ.

أثار هذا استياءً واسع النِّطاق، وكان أحد أكثر أعمال الاحتجاج رمزيّة هو قيام طالب يُدعى يان بالاش الّذي أحرق نفسه حتَّى الموت عام ١٩٦٩ كعمل مقاومة ضدّ الغزو السُّوفييتيّ، والدِّيكتاتوريَّة. تُظهر هذه الأمثلة أهمّيَّة النَّظر إلى التَّاريخ من خلال عدسة التَّجارب المحلّيّة، مع الاعتراف بحركات المقاومة، وردود الفعل القمعيَّة القاسية الّتي واجهتها.

كان هذا جزءاً من نمط أكبر شوهد في جميع أنحاء أوروبَّا الشّرقيّة، مثل الانتفاضة السَّابقة في المجر عام ١٩٥٦، حيث اشتبكت القوى الاشتراكيّة المحلّيّة أيضاً مع القوى السّتالينيّة القمعيَّة.

البرتغال:

خلال هذه السّنوات، عانت البرتغال من دكتاتوريّة فاشيّة لمدة ٤٨ عاماً، وهي الأطول في أوروبَّا، بينما عاش السّكَّان في فقرٍ شديد. في الوقت نفسه بدأت حركات الاستقلال في الظّهور في مستعمراتها مثل: أنغولا، وموزمبيق، وغينيا بيساو، وتيمور الشّرقية، وماكاو. وخلال هذه الفترة كانت المنظَّمة المهمّة الوحيدة الّتي نجت من الدّكتاتوريّة هي الحزب الشّيوعيّ المدعوم من الاتّحاد السُّوفييتيّ، ومع ذلك بدأ الشّيوعيّون في السّتّينيَّات في الانشقاق عنه؛ حيث أدركوا أنّ قوَّة النِّظام الفاشيّ في البرتغال كانت مستمدّة من هيمنته الاستعماريَّة، والّتي تضمَّنت استغلالاً أكثر وحشيّة في المستعمرات. وفهموا أنّ الكفاح المسلَّح بالتّحالف مع الحركات المناهضة للاستعمار ضدّ كلّ من النِّظام، والقوَّات الاستعماريَّة كان أمراً ضروريّاً. أدَّى هذا التّعاون إلى بدء أعمال مسلَّحة ضدّ النِّظام، ممّا أدَّى إلى تمرّد الجنود البرتغاليّين، وساهم في النِّهاية في انهيار النِّظام، وتحرير المستعمرات. ويوضّح هذا المثال كيف يمكن للصّراعات من داخل الإمبراطوريّات، وخارجها أن تتلاقى لتحقيق التَّحرير.

أمريكا الشّماليَّة:

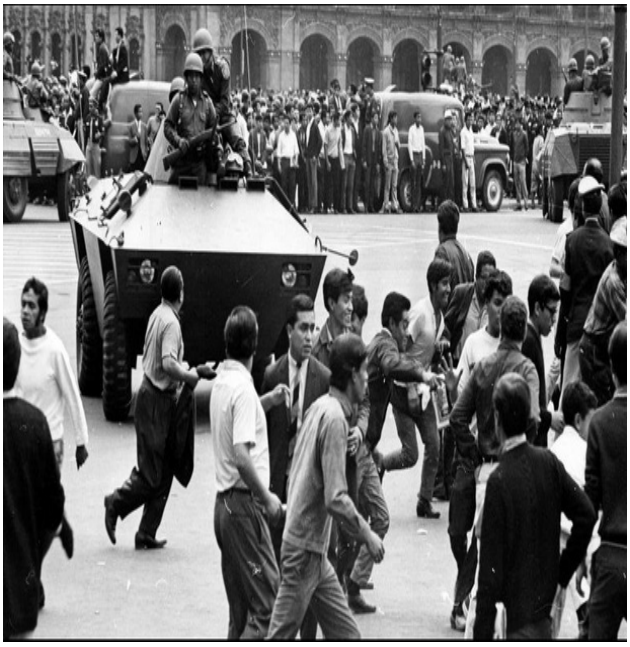

تميّزت حركة عام ١٩٦٨ في المكسيك باضطرابات، واحتجاجات كبيرة ضدّ الظّلم المنهجيّ؛ حيث حافظ الحزب الثّوريّ المؤسّسيّ (PRI) على السُّلطة لأكثر من ٤٠ عاماً تحت قيادة غوستافو دياز أورداز، وظهر احتجاج طلابيّ كبير، غذته مظالم اجتماعيَّة واسعة النِّطاق، ومشاعر مناهضة للاستعمار، ومعارضة حرب فيتنام، من بين صراعات محليَّة أخرى. واجهت هذه الحركة واحدة من أكثر عمليّات القمع وحشيّة في حركة عام ١٩٦٨ العالميّة بأكملها، والّتي بلغت ذروتها في مذبحة تلاتيلولكو في ساحة الثَّقافات الثَّلاث، حيث قُتل رسميّاً أكثر من ٢٠٠ شخص، ولكن العدد الحقيقيّ للقتلى ما يزال غير مؤكّد، ودُفن العديد من الضّحايا في مقابر جماعيّة.

كان لحركة عام ١٩٦٨ في المكسيك آثار بعيدة المدى امتدَّت إلى ما هو أبعد من احتجاجات الطّلاب في المدن، ممّا أثّر بشكل كبير على حركات السّكَّان الأصليّين والحركات الشّعبيَّة في جميع أنحاء البلاد. لم تحفز هذه الفترة طلّاب المدن فحسب، بل حفَّزت أيضاً جماعات السّكَّان الأصليّين المهمّشة، الّذين أدركوا أوجه التّشابه بين نضالاتهم ومطالب الحركة الطّلابيّة بالعدالة الاجتماعيَّة وحقوق الأرض والتّمثيل السّياسيّ، حيث بدأ النّاشطون من السّكَّان الأصليّين في حشد جهودهم بشكل أكثر وضوحاً، مؤكّدين على الوحدة في مواجهة أوجه عدم المساواة الممنهجة، وتضمّنت التّعبيرات الثَّقافيّة الّتي ظهرت خلال هذه الفترة بما في ذلك الموسيقى، والفنون مواضيعَ خاصَّة بالسّكَّان الأصليّين، ممّا عزّز نهضة ثقافية احتفت بهويّاتهم. في أعقاب قمع الحركة، استلهمت مجتمعات السّكَّان الأصليّين الدَّعوة إلى حقوقها؛ ممّا أدَّى إلى تشكيل منظَّمات تركّز على إصلاح الأراضيّ، والحفاظ على التّراث الثَّقافيّ، وقد مهّد هذا الطَّريق لتغييرات جوهريّة في السّياسات والمواقف المجتمعيّة تجاه حقوق السّكَّان الأصليّين في المكسيك. استمرّ إرث حركة عام ١٩٦٨ في التَّأثير على الحركات اللاحقة، بما في ذلك انتفاضة زاباتيستا في تشياباس عام ١٩٩٤، الّتي سعت إلى معالجة قضايا الأرض، والاستقلال الذَّاتيّ، وحقوق السّكَّان الأصليّين. في نهاية المطاف لم تسلّط حركة عام ١٩٦٨ الضَّوء على التّرابط بين مختلف النِّضالات الاجتماعيَّة فحسب، بل ساعدت في تنمية الشّعور بالفخر، والصّمود أيضاً لدى المجتمعات المهمّشة، ممهّدةً الطَّريق لنضالٍ مستمرّ من أجل العدالة والاعتراف.

وتجلّت حركة عام ١٩٦٨ في الولايات المتَّحدة أيضاً من خلال نضالات اجتماعيَّة، وسياسيَّة متنوّعة، حيث ظهر حزب «الفهود السَّوداء» خلال هذه الفترة جنباً إلى جنب مع الحركة البيئيّة، والأحداث المضطربة المحيطة باغتيال مالكوم إكس. كانت هذه الحركات مترابطة، حيث ساهمت كلّ منها في إطار أوسع لسياسات التَّحرير، كما كان يتمّ استهداف القادة البارزين الّذين سعوا إلى التَّغيير الاجتماعيّ، واغتيالهم، ممّا يدلّ على المخاطر الكبيرة المرتبطة بالانخراط في هذه الحركات. والجدير بالذّكر أنّ المرشّح الرّئاسيّ التَّقدُّميّ الأمريكيّ يوجين مكارثي الّذي سافر إلى الجزائر سعياً لفهم حركات التَّحرير العالميّة، والتَّفاعل معها قد اغتيل أيضاً.

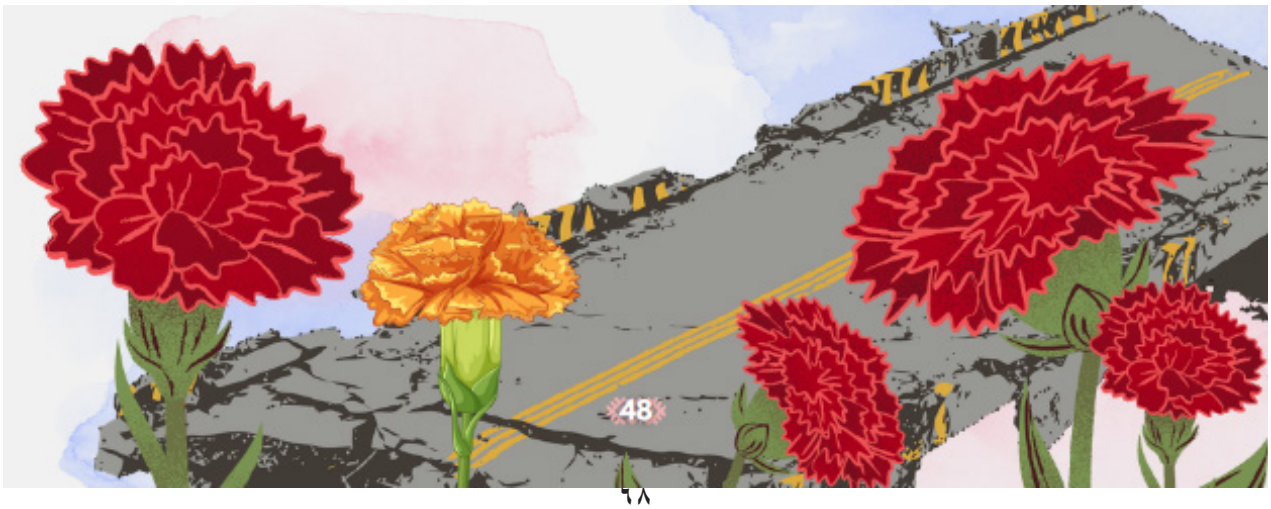

آثار حركة ٦٨:

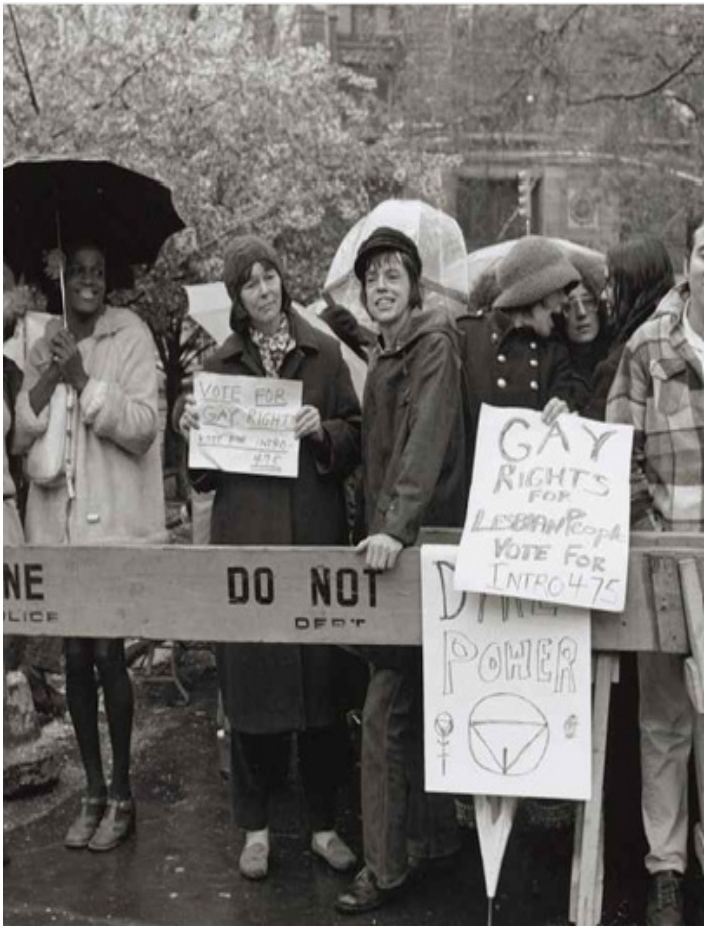

عنـد التَّفكيـر فيمـا إذا كانـت حركـة ٦٨ قـد نجحـت كثـورة، فمـن الواضـح أنّـه علـى الرّغـم مـن كونهـا عـزّزت تأثيـرات ثقافيّـة كبيـرة، إلّا أنَّهـا لـم تـؤدِّ إلـى تغييـر اجتماعـيّ واسـع النِّطـاق؛ حيـث تـمّ حلّ العديـد مـن الحـركات فـي نهايـة المطـاف، ولـم تتحقّـق التَّحـوّلات المأمـول منهـا بشـكلٍ كامـل، ومـع ذلـك فقـد مثّلـت تلـك الحقبـة لحظـة محوريّـة للتَّحـوّلات الثَّقافيّـة بمـا فـي ذلـك التَّحـرُّر الجنسـيّ، وظهـور هويّـات جديـدة. أدّت هـذه الفتـرة إلـى ظهـور سياسـات الهويَّـة، ووضعـت قضايـا مثـل حمايـة البيئـة، وقمـع النّـوع الاجتماعـيّ فـي المقدّمـة. لقـد كان أهـمّ إرث لحركـة ٦٨ هـو تعزيـز الحركـة النّسـويَّة الّتـي بـرزت كقـوَّة مؤثّـرة خـلال هـذا الوقـت، واسـتمرَّت فـي التَّطـوّر تاريخيَّـاً، وسياسـيّاً فـي السّـنوات اللاحقـة.

عنـد دراسـة مثـال فرنسـا، يمكننـا اسـتخلاص دروس قيّمـة حـول ضـرورة الوحـدة بيـن مختلـف الحـركات والمناهـج. إنّ أحـد أبـرز أوجـه القصـور الّتـي لا تـزال قائمـة حتَّـى اليـوم هـو الانقسـام بيـن هـذه الحـركات، فبعـد حركـة عـام ١٩٦٨، وعلـى الرّغـم مـن وجـود ثـورة ثقافيّـة، اكتسـبت الليبراليَّـة زخمـاً كبيـراً، ممّـا أدَّى إلـى تفتيـت قضايـا حاسـمة مثـل المسـاواة بيـن الجنسـين، وحمايـة البيئـة إلـى حـركات منفصلـة بـدلاً مـن خلـق خـطّ مشـترك. هـذا التفتيـت، لا سـيَّما فـي العالـم الغربـيّ، يعيـق تطويـر اسـتراتيجيّة ثوريّـة متماسـكة؛ لـذا مـن الضّـروريّ معالجـة هـذا الانقسـام فـي مناقشـاتنا، لأنَّنـا بحاجـة إلـى إعـادة اكتشـاف مسـار مشـترك يسـمح لنـا بتحقيـق تجربـة تاريخيَّـة، وثوريّـة، ومنعهـا مـن التَّلاشـي بمـرور الوقـت، فـي حيـن أنّ هنـاك ثـروة مـن النِّضـالات المشـتركة، تظـلّ الحـركات منفصلـة وتكـون رجعيّـة بـدلاً مـن أن تكـون ثوريّـة فـي حلولهـا.

بالنَّظر إلى الاتّحاد السُّوفييتيّ والظّروف الصّعبة الّتي واجهها النَّاس في دول ما بعد الاتّحاد السُّوفييتيّ، نرى دروساً حاسمة يجب تعلمها. وإنّ الأمل في إيجاد حلول اجتماعيَّة، أو ثوريّة في هذه المناطق ضئيل جدّاً، ممَّا يترك فراغاً يسمح للأصوليّة الدّينيّة، والرَّأسماليّة البدائيّة بالسّيطرة بسهولة أكبر.

لا يركّز هذا العرض التَّقديميّ على هذه اللحظات التَّاريخيّة فحسب، بل يركّز أيضاً على الحركات اللاحقة الّتي ألهمتها، سواءً أكانت أوجه قصورها أم نقاط قوّتها، بما في ذلك صعود النّشاط البيئيّ، والموجة الجديدة من الحركة النّسويَّة، والحركات الدّيمقراطيَّة المختلفة. على الرّغم من أنّنا لا نستطيع تغطية كلّ التَّفاصيل، إلّا أنَّني أشجّع القرّاء على إجراء هذه الرّوابط بأنفسهم. فما يزال إرث عام ١٩٦٨ واضحاً حتَّى اليوم مع ظهور العديد من المنظَّمات من الحركة الطّلابيّة، مثل فصيل الجيش الأحمر (RAF)[٧]، وحركة توباماروس في الأمريكتين[٨]، وكتيبة بريغاتي روز[٩] في إيطاليا. وقد حقّق أعضاء هذه الحركات، المستلهمون من روح عام ١٩٦٨، خطوات كبيرة نحو التَّنظيم الرّاديكاليّ، ولا سيَّما داخل حركات التَّحرُّر الوطنيّ، وحركات مناهضة الاستعمار.

تُعد الحركة البيئيّة أمراً بالغ الأهمّيَّة في هذا السّياق، فنحن بحاجة ماسّة إلى إعادة تعريف نضال الطَّبقة العاملة ليشمل بُعداً بيئيّاً مع الاعتراف بأنّ الأزمات البيئيّة الّتي نواجهها ستؤثّر بشكل متزايد على فئات سكّانيّة متنوّعة. ويتطلّب هذا الابتعاد عن النَّظر إلى القضايا البيئيّة من خلال عدسة علميّة بحتة تفصل البيئة الطَّبيعيَّة عن العلاقات الاجتماعيَّة.

نتيجةً لتزايد تصنيع المجتمعات، شهدت أعوام السّتّينيَّات والسّبعينيَّات حوادث بيئية مثل كارثة تشيرنوبيل، وقصف هيروشيما، وناغازاكي، مما سلّط الضَّوء على التّلوث، وغيره من المشاكل المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالرَّأسماليّة. ولمعالجة هذه التَّحدّيات، يجب علينا إيجاد حلول اجتماعيَّة، ومحليَّة؛ فالفشل في القيام بذلك سيعيق قدرتنا على حل القضايا البيئية بفعاليّة.

وكما أشار موراي بوكشين في نهجه تجاه علم البيئة الاجتماعيَّة، «إذا كان شعار الرَّاديكاليّة البروليتاريّة هو المصنع، فإنّ شعار الحركة البيئيّة سيكون المجتمع؛ الحي، المدينة، البلديّة»، وهذا يؤكّد على ضرورة ربط نضالاتنا الاجتماعيَّة، والبيئيّة لبناء مستقبل أكثر عدلاً واستدامة.

في الختام، تمثّل حركة عام ١٩٦٨ لحظة فارقة في التَّاريخ العالميّ تميّزت باضطرابات اجتماعيَّة واسعة النِّطاق، وتحوّلات ثقافية، وظهور حركات تحرّر متنوّعة. وبالرّغم من أنَّها لم تحقّق تحوّلاً ثوريّاً كاملاً، إلّا أنَّ إرثها ما يزال يتردّد صداه حتَّى اليوم، مؤثّراً في النِّضالات المعاصرة من أجل العدالة الاجتماعيَّة، والحركة النّسويَّة، والنَّشاط البيئيّ. وقد كشفت الحركة عن التَّرابط

---

٧ فصيل الجيش الأحمر، المعروف أيضاً باسم مجموعة بادر-ماينهوف أو عصابة بادر-ماينهوف، كان جماعة مسلَّحة يساريّة متطرّفة في ألمانيا الغربيّة تأسّست عام ١٩٧٠ ونشطت حتَّى عام ١٩٩٨.

٨ كانت توباماروس جماعة حرب عصابات حضريّة ماركسيَّة لينينيّة عملت في أوروغواي خلال السّتّينيَّات، والسّبعينيَّات.

٩ كانت الألوية الحمراء جماعة مسلَّحة ماركسيَّة لينينيّة يسارية متطرّفة إيطاليّة.

بيـن مختلـف القضايـا مؤكّـدة علـى ضـرورة التَّضامـن بيـن مختلـف المجموعـات لمعالجـة أوجـه عـدم المسـاواة المنهجيّـة بفعاليّـة، وبينمـا نتأمّـل فـي الـدُّروس المسـتفادة مـن عـام ١٩٦٨، مـن الأهمّيَّـة بمـكان توحيـد جهودنـا، وإدراك أنّ النِّضـال مـن أجـل التّغييـر مسـتمرّ، مـن خـلال تبنّـي روح تلـك الحقبـة، يمكننـا البنـاء علـى إنجازاتهـا، والعمـل نحـو مسـتقبل أكثـر عـدلاً، واسـتدامة.

٨- نظرة مستقبليَّة: الكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة - منظور الأُمَمِيَّة وتحرير المرأة في القرن الحادي والعشرين

لقد أظهرت لنا تجارب الأمميّات الثَّلاث، والاشتراكيّة المشيّدة، والنِّضالات المناهضة للاستعمار، والنِّضالات الثَّوريّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين أنّه لا يمكن تحقيق التَّحرُّر الاجتماعيّ، ولا التَّحرُّر الوطنيّ دون تحرير المرأة. فعلى الرّغم من مشاركة مئات الآلاف من النّساء في نضالات التَّحرُّر هذه، إلّا أنّ أحلامهن بحياة حرَّة، وكريمة ظلّت بعيدة المنال، وقد تجاهلت استراتيجيّات توحيد عمال جميع البلدان من أجل التَّحرُّر الطَّبقيّ، أو قيادة النِّضال من أجل التَّحرُّر الوطنيّ ضدّ الاستغلال الإمبرياليّ، إلى حدّ كبير واقع المرأة باعتبارها «أوّل طبقة مضطهدة»، أو «أقدم مستعمرة»، كما ذكر السَّيِّد عبد الله أوجلان. ومن هذا المنطلق نستنتج أنّ تناقضاً تاريخيّاً وعميقاً كهذا، وهو التَّناقض بين الجنسين بين الرَّجل المهيمن، والمرأة المستعبدة، لا يمكن التّعامل معه كـ»قضية جانبية»، بل يتطلّب جهوداً خاصَّة ومنظَّمة للتّغلّب عليه.

لقد أكّدت الموجة الثَّانية من النِّضالات والحركات النّسويَّة، الّتي تطوّرت كجزء من حركة ١٩٦٨ والقوَّة الدّافعة لها، على آليّات النِّظام الأبويّ واستمراريّته التَّاريخيّة، ومن خلال التَّنظيم الجماعيّ للنّساء، بالإضافة إلى الحملات والشّبكات الدُّوليَّة تحت شعارات مثل «الأخوّة عالميّة»، و»الخاصّ سياسيّ»، و»جسدي، خياري»، أو «أجر متساوٍ لعملٍ متساوٍ»، وحّدت النّساء من جميع القارَّات أصواتهن، وقواهنّ في النِّضال ضدّ العنف الجنسيّ، والتّمييز، والتّشريعات. وتمّ تحدّي الهياكل الأبويّة، والأدوار الجندريّة داخل الأسرة، والمجتمع، ومؤسّسات الدّولة، فضلاً عن استمراريّتها في المنظَّمات الاشتراكيّة وحركة الطّلاب.

بالإضافة إلى ذلك، حلّلت النّسوة السَّوداء، وغيرهنّ من النّساء الثَّوريّات العلاقات بين النِّظام الأبويّ، والرَّأسماليّة والاستعمار، وخلصن إلى أنّ نضال تحرير المرأة المتّسق يجب أن يشمل أيضاً النِّضال ضدّ جميع أشكال القمع، والاستغلال. وعلى هذا الأساس، لعبت العديد من الجماعات، والمنظَّمات النِّسائيّة دوراً مهمّاً في النِّضالات العالميّة من أجل السَّلام، والدّيمقراطيَّة، والبيئة مع ذلك، ورغم أنّ الحركة النّسويَّة أصبحت قوَّة اجتماعيَّة، وسياسيَّة دوليّة هامَّة في سبعينيَّات، وثمانينيّات القرن الماضي، إلّا أنّها فشلت في وقف جرائم قتل النّساء، والاستغلال المتعدّد الأوجه للمرأة حول العالم، فضلاً عن فشلها في منع انتشار الحداثة الرَّأسماليّة، والحروب الإمبرياليّة. ومع انقسام الحركة النّسويَّة إلى فصائل إيديولوجيّة متنافسة، اندمج تيارها الرَّئيسيّ منذ تسعينيّات القرن الماضي في النِّظام الليبراليّ، وتهمّش بفعل نمط الحياة الفرديّ للحداثة الرَّأسماليّة.

في هذا السّياق، تتضمّن خلاصة السَّيّد عبد الله أوجلان: «سيكون القرن الحادي والعشرون قرن تحرير المرأة»، برنامجاً، واستراتيجيّة أمميّة ثوريّة للقرن الحادي والعشرين، وهي تستند إلى مفاهيم لتحقيق ثورة نسائيَّة باعتبارها جوهر التَّحرُّر الاجتماعيّ، والّتي دأب السَّيّد عبد الله أوجلان على تطويرها منذ منتصف التّسعينيّات. ونعتقد أنّ هذه المفاهيم الّتي أرشدت تنظيم ونضال حركة تحرير المرأة في كردستان على مدى العقود الثَّلاثة الماضية لها أهمّيَّة قصوى للأنشطة والتَّنظيم الأمميّ.

لقد تمّ تلبية حاجة المرأة في واقع الحرب، والاحتلال للدّفاع عن نفسها من خلال بناء جيش نسائيّ في جبال كردستان. كانت هذه هي الخطوة الأولى للنّساء ليس فقط لقيادة كفاحهن ضدّ الهجمات الاستعماريَّة بأنفسهن، ولكنّ لتنظيم حياتهن، ونضالهنّ بشكل مستقل أيضاً. ومن خلال ذلك تعرّفت النّساء على قوّتهن الجماعيّة، وطوّرن استراتيجيّتهنّ، وتكتيكاتهنّ، وأفعالهنّ من خلال تثقيف أنفسهن ببعضهن البعض. ففي عالمٍ تهيمن عليه ثقافة الاغتصاب، وقتل النّساء المنهجيّ، تعدّ قدرة المرأة على الدِّفاع عن نفسها مسألة ذات أهمّيَّة حيويّة في جميع أنحاء العالم، ولا يقتصر الدِّفاع عن النّفس على معرفة كيفيَّة استخدام الأسلحة فقط، بل إنّ الدِّفاع عن النّفس بالنّسبة للمرأة يعني خلق الوعي، والتَّنظيم لحماية حياة المرأة، وكرامتها وفقاً للاحتياجات، والواقع في مختلف مناطق العالم.

أصبحت نظريّة الانفصال إطاراً نظريّاً هامّاً للتّغلّب على التَّأثير المستمرّ للهيمنة الأبويّة، فبالنّسبة للنّساء يعني هذا تحرير أنفسهن من العنف الجسديّ، والعقليّ، والعاطفيّ، والتَّبعيَّة للرّجال من خلال تنمية الوعي الذَّاتيّ، والثّقة بين النّساء. إلى جانب ذلك، تتضمّن إيديولوجيّة تحرير المرأة الّتي أوضحها السَّيّد عبد الله أوجلان في ٨ مارس ١٩٩٨ أدوات، ومبادئ مهمّة لتحرير المرأة في كردستان، وكذلك على المستوى الدّوليّ:

يتضمّن مبدأ «ولات باريز»[١٠] إقامة علاقة محبة واعية مع ثقافتنا، وتاريخنا، وأرضنا كأساس للمقاومة ضدّ الاستعمار، والاندماج، والاغتراب. وهو يستند إلى فهم بيئيّ ودوليّ لتقدير الوحدة في التنوّع.

يعني مبدأ حرّيَّة الفكر، وحرّيَّة الإرادة تحرير عقولنا من المفاهيم الأبويّة والاستعماريَّة، وهذا يشمل التعبير بثقة عن آرائنا وتطوير حلول تتجاوز الخيارات الجاهزة والمزعومة الّتي يقدمها لنا النِّظام.

مبدأ التَّنظيم؛ يعني بناء وتعزيز إرادتنا الجماعيّة كنساء. فالتَّنظيم يمنحنا القوَّة لاتخاذ الإجراءات وتحدّيد حياتنا، وهذا هو الأساس للنُّهوض بالتَّنظيم الذَّاتيّ الدّيمقراطيّ لمجتمعاتنا، وتحدّي النِّظام الحاكم.

ينشأ مبدأ النِّضال من إدراك أنّ الحكّام الأبويّين لن يتصرّفوا أبداً لصالح المرأة، وأنّ الرَّأسماليّين لن يضحّوا أبداً بأرباحهم بإخلاص من أجل رفاهيّة الشَّعب. ووفقاً للظّروف المتغيّرة، نحتاج إلى

١٠ مصطلح كرديّ يعني «الدِّفاع عن الأرض ومحبّتها»

تطوير وتنفيذ أساليب نضال مختلفة على المستويين الإقليميّ والدّوليّ للتَّغلّب على نظام القمع والاستغلال، ويمكن أن تشمل أشكال النِّضال السِّياسة الدّيمقراطيَّة، والتَّعبئة الجماهيريَّة، وحملات التّوعية والتّعليم، بالإضافة إلى الإضرابات أو الانتفاضات.

يعبّر مبدأ الأخلاق والجمال عن فهمنا للجمال والعدالة، وهو يستند إلى الوحدة الأخلاقيّة لأهدافنا وأساليب نضالنا، وكذلك على خلق قيم الحرّيَّة والتَّعبير عنها، فنحن لا نناضل فقط ضدّ نظام القمع، بل نسعى أيضاً إلى بناء بدائل اجتماعيَّة قائمة على ثقافة التَّضامن، والاحترام المتبادل والصَّداقة.

كانت إيديولوجيّة تحرير المرأة الأساس لتأسيس حزب نسائيّ، ووضع بيان لتحرير المرأة في كردستان. وفي سياق النّقاشات المستمرّة حول كيفيَّة رغبة المرأة في العيش، ونوع المجتمع الّذي تطمح إليه، صاغت حركة تحرير المرأة الكرديّة أيضاً عقداً اجتماعيّاً للمرأة، ومن خلال هذه العمليّة، تسعى النّساء إلى تحدّيد مصيرهنّ وإلغاء جميع العقود والقوانين الأبويّة الأحاديّة المفروضة عليهن. وبهذا المعنى تشكل إيديولوجيّة تحرير المرأة أيضاً الأساس لتنفيذ نموذج السَّيِّد عبد الله أوجلان لمجتمع ديمقراطيّ بيئيّ قائم على تحرير المرأة. وبهذه الطَّريقة قدّم مفهوم قتل الرَّجل المهيمن (الّذي يسمّيه السَّيِّد عبد الله أوجلان «المبدأ الأساسيّ للاشتراكيّة. إنّه يتعلّق بقتل السُّلطة، وقتل الهيمنة الأحاديّة وعدم المساواة، وقتل التَّعصّب. إنّه يتعلّق حتَّى بقتل الفاشيَّة، والدِّيكتاتوريَّة، والاستبداد»[١١] نهجاً قويّاً لمحاربة، وتفكيك العقليَّة الأبويّة، ويؤكّد على مسؤوليّة الرِّجال، وخاصَّة أولئك الّذين يريدون أن يطلقوا على أنفسهم ثوريّين، في التّشكيك في المواقف المتحيّزة جنسيَّاً في شخصياتهم والتَّغلُّب عليها. ويُعدّ تحوّل الرّجال وفقاً للمبادئ الاشتراكيّة، بما في ذلك احترام إرادة المرأة والتَّنظيم الذَّاتيّ، شرطاً أساسيّاً لإعادة تعريف العلاقات بين الجنسين.

يتطلّب مفهوم «Hevjiya Azad»[١٢] ، الّذي يُمكن ترجمته إلى «الحياة المشتركة الحرَّة» أو «الشّراكة الحرَّة والمتساويّة»، تجاوز العقليَّة الأبويّة والمواقف الّتي تُرسّخ ثنائية الرَّجل المُهيمن، والمرأة المُضطهدة. ويُمكن تحقيق صداقة حقيقيّة بين الرَّجل والمرأة فقط من خلال تجاوز المنطق، والهياكل، والمؤسسات الّتي تنظر إلى المرأة ككائن جنسي، وممتلكات. ولتحقيق ذلك وضع السَّيِّد عبد الله أوجلان معايير محدَّدة ينبغي على الرّجال والنّساء مراعاتها. وبينما يُؤكد أنّ «هيفجيانا آزاد» ليست علاقة خاصَّة، أو حصريَّة بين رجل وامرأة، بل هي علاقة اجتماعيَّة، فإنّه يُقيّم أيضاً تحقيق علاقات حرَّة، ومتساوية بين الرَّجل، والمرأة في جميع مجالات الحياة باعتبارها ركيزة أساسيَّة للأمَّة الدّيمقراطيَّة، والمجتمع الاشتراكيّ.

«بالنِّسبة لهيفجيانا آزاد، لا أتحدّث عن علاقة زوجيَّة كلاسيكيَّة، أو علاقة زواج حديثة، أو ما بعد حداثيّة، أو مُقنّعة. إنّ الحياة المشتركة الحرَّة الّتي ذكرتها هي أسلوب حياة يعيد فيه كلا الجنسين بناء الحياة في كلّ جانب على أساس المساواة، والحرّيَّة. وبما أنّ الشّخص أو المجتمع لا يمكن أن

---

١١ ماهر ساين: عبد الله أوجلان ني ديور؟ إركهي أولدورمك، منشورات توبراك، ١٩٩٧

١٢ تعني كلمة «hev» «معاً»، و«jiyan» تعني «الحياة»، و«azad» تعني «حرّ». تمّ تقديم هذا المفهوم من قبل السَّيِّد عبد الله أوجلان في المجلّد الخامس من بيان الحضارة الدّيمقراطيَّة في عام ٢٠١٠.

يوجد خارج الزّمان، والمكان، فعلى الرّجال، والنّساء تحرير الزّمان، والمكان معاً، حتَّى يزدهر الحبّ والمودّة فيهما.»[١٣]

لقد غذّت هذه المفاهيم ثورة المرأة، وانتفاضات (Jin, Jiyan, Azadî) «المرأة، الحياة، الحرّيَّة»، والّتي تُمثّل جوهر بناء الهياكل الكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة للإدارة الذَّاتيّة للنِّساء، والشَّعب في كردستان، وهي تُجسّد استجابات لتطلّعات الإنسانيَّة إلى حياة الحرّيَّة، والكرامة، وهي حقيقة ومسعى لهما جذور تاريخيَّة عميقة، ويوحّدان النّساء، والمجتمعات في جميع أنحاء العالم.

١٣ من ملاحظات المحادثات مع عبد الله أوجلان حول إمرالي.

الأسس التَّاريخيّة العالميّة لثورة المرأة:

يمكن العثور على آثار العشائر، والمجتمعات الطَّبيعيَّة الّتي تتمحور حول المرأة، والقائمة على القيم الجماعيّة، واقتصاد الهبة، والفهم الشَّامل للحياة، والكون باعتبارهما إبداعات مقدسة لآلهة الأم، في جميع أنحاء الهلال الخصيب لبلاد ما بين النَّهرين. تكشف البقايا الأثريّة، والثَّقافيّة، واللغويّة، والعادات الاجتماعيَّة، والتَّاريخ الشّفويّ، والأساطير عن الدّور المحوريّ للمرأة في تنظيم المجتمعات القائمة على التَّضامن، وخلق المعرفة، والثَّقافة، وأساسيّات الحياة. يمكن العثور على هذه البقايا من ثورة نسائيَّة قديمة أعطت معنى للحياة، وبنت مجتمعات على أساس الاحترام المتبادل، والاحتياجات المشتركة، والعدالة في جميع أنحاء العالم. فهي تشكّل منابع النَّهر المتدفّق للحداثة الدّيمقراطيَّة. من خلال التَّعرّف على هذه الآثار في ماضي، وحاضر مجتمعاتنا، وإعطائها معنى، يمكننا تفكيك الأساطير الأبويّة في الدّين، والفلسفة، والعلوم الّتي شكّلت العقليَّة الذّكوريّة السّائدة. وبذلك، نفهم أنّ التّطوّر الفعليّ للبشريّة ليس نتيجة للقوَّة البدنيّة للرّجال، ولم يتمّ إنشاؤه بواسطة حضارات الدّولة أو الحروب أو الصِّراعات الطَّبقيّة. في الوقت نفسه، نرى أنّ النِّظام السَّائد للأبويّة وثقافة الاغتصاب، الّذي انتهك وجود المرأة بشكلٍ عميق، وتجاهل هويّاتها، أصبح المخطّط التَّاريخيّ لجميع التسلسلات الهرميّة، والانقسام الطَّبقيّ، والعنصريّة، واستعمار المجتمعات، والأراضي، والطَّبيعة.

من خلال إدراكنا لهذا الأمر، يتّضح أنّ نظام القمع الحاكم لم يكن موجوداً دائماً، وبالتَّالي لا ينبغي أن يستمرّ إلى الأبد؛ حيث تتشكل طبيعة العلاقات الاجتماعيَّة، وخاصَّة العلاقات بين المرأة، والرَّجل، وكذلك العلاقات بين مختلف الجماعات الاجتماعيَّة، والمجتمعات الثَّقافيّة، والدّينيّة، من خلال الرّوايات، والتَّقاليد الّتي وضعها البشر، ومارسوها، وهذا يعني أنّه يمكن أيضاً إعادة تصوّر هذه العلاقات، وإعادة تفسيرها، وتغييرها.

على الرّغم من الشَّرخ العميق الّذي أحدثه ترسيخ النِّظام الأبويّ في العقليّات، وجميع مجالات الحياة عبر التَّاريخ وفي مختلف المجتمعات، فإنّ تاريخ، و»قصص» نضالات المرأة من أجل الحرّيَّة، والمقاومات الجماعيّة، والتّعاون، والتّعلّم، والتَّنظيم على مرِّ العصور، قد تركت بصماتها على الذَّاكرة الفرديّة، والجماعيّة للمرأة في جميع أنحاء العالم. فمن معركة

إنانا الشّرسة ضدّ إنكي في العصر البابليّ، إلى الجماعات اللاهوتيّة، والفلسفيّة في الأديرة النِّسائيّة، ومن حركة البجين في أوروبَّا الوسطى إلى حركة الباجيلار (باكيان الروم)[١٤] في الأناضول في العصور الوسطى، ومن نضالات الدِّفاع عن النّفس الّتي خاضتها نساء السّكَّان الأصليّين ضدّ الاستعمار في أفريقيا، وآسيا، وأمريكا، وأستراليا، إلى المقاومات المسلَّحة ضدّ الدّيكتاتوريّات الفاشيَّة، وصولاً إلى التَّعبئة الجماهيريَّة ضدّ العبوديّة، والفصل العنصريّ، والاتجار بالبشر، ويمكن للمرأة أن تعتمد على إرث غنيّ من النِّضالات الإقليميّة، والقارّيّة، والعابرة للقارات لبناء أمميّة مجتمعيّة في القرن الحادي والعشرين.

١٤ تشير «أخوات الرّوم» (حرفيّاً «أخوات الرّوم») إلى منظَّمة نسائيَّة نشطت في الأناضول خلال القرنين الثَّالث عشر والرّابع عشر.

تحويل شرارات الأمل إلى تحالفات أمميّة:

شـهدنا منـذ بدايـة القـرن الحـادي والعشـرين موجـة جديـدة مـن التَّعبئـة، والمناقشـات، والمؤتمرات النِّسـائيّة العالميّـة لبنـاء، وتعزيـز التَّحالفـات النِّسـائيّة الدُّوليَّـة، وقـد شـاركت حركـة حرّيَّـة المـرأة الكرديّـة فـي العديـد منهـا مقدّمـةً الإلهـام، والتَّواصـل مـع مبـادرات مختلفـة للنّهـوض بنضـال تحريـر المـرأة مـن منظـور أمميّ.

بـدءاً مـن مسيرات النّسـاء العالميّـة فـي عـام ٢٠٠٠، بـدأت النّسـاء بالنّـزول إلـى الشَّـوارع مـرَّة أخـرى، وقـد نظَّمـن أنفسـهن دوليّـاً، ونسّـقن التَّعبئـة، والفعاليَّـات لمقاومـة الاسـتغلال الرَّأسـماليّ، والاسـتيلاء علـى الأراضـي، والحـروب الإمبرياليّـة، وجميـع أشـكال العنـف ضـدّ المـرأة.

إلـى جانـب الإضرابـات النِّسـائيّة العالميّـة، ثـارت النّسـاء ضـدّ الاسـتغلال المـزدوج لعمـل المـرأة، ومـن خـلال المظاهـرات الجماهيريَّـة تحـت شـعار «لا مزيـد مـن النّسـاء!»، وعـروض الرَّقـص العالميّـة مثـل «مليـار امـرأة تنتفـض» أو «لاس تيسـاس»، نـدّدت النّسـاء بالعنـف الجنسـيّ، وقتـل النّسـاء، ومنـذ عـام ٢٠١١، تـمَّ تنظيـم مؤتمـرات المـرأة العالميّـة فـي بلـدان مختلفـة مثـل فنزويـلَّا ونيبـال وتونـس، وعُقـد المؤتمـر التَّأسيسـيّ للتّحالـف الدّولـيّ للمـرأة فـي الفلبيـن، بهـدف النّهـوض بالحركـة النِّسـائيّة العالميّـة المناضلـة، وفـي الوقـت نفسـه ظهـرت العديـد مـن المبـادرات لمناقشـة البيانـات النّسـويَّة للقـرن الحـادي والعشرين.

تشـمل الأمثلـة «مانيفسـتو النّسـويَّة مـن أجـل ٩٩٪»[١٥]، و«المانيفسـتو النّسـويّ العابـر للحـدود»[١٦]، والعمليـة الجاريـة لصياغـة المانيفسـتو النّسـويّ للجنـوب العالمـيّ[١٧]. وتتمثَّـل السّـمة المشـتركة لهـذه المبـادرات فـي نقـد النّسـويَّة الليبراليّـة الّتـي سـاهمت فـي ترسـيخ الحداثـة الرَّأسـماليّة، والاسـتغلال، لـذا، تهـدف هـذه المبـادرات إلـى إعـادة إحيـاء الحركـة النّسـويَّة مـن منظـور مناهـض للرّأسـماليّة، ومناهـض للاسـتعمار، وهـو منظـور بيئـيّ، ودولـيّ، واشـتراكيّ.

فـي الوقـت نفسـه، طـوّرت الحركـة النِّسـائيّة الكرديّـة مقترحـاً للعمـل مـع مختلـف النّسـاء، والتَّجمّعـات، والحـركات النِّسـائيّة لنسـج شـبكات كونفدراليّـة ديمقراطيّـة نسـائيَّة عالميّـة؛ حيـث عُـرض هـذا المقتـرح،

١٥ سينزيا أروزا، تيثي بهاتاشاريا، نانسي فريزر وآخرون، النّسويَّة من أجل ٩٩٪: بيان، فيرسو، لندن / نيويورك، ٢٠١٩.

١٦ https://radicalwomen.org/wp-content/uploads/٢٠٢٥/٠٢/CrossBorderFeministManifesto.pdf

١٧ https://southfeministmanifesto.org

ونوقش على نطاقٍ واسع في مؤتمرات «نساء ينسجن المستقبل» الدُّوليَّة في فرانكفورت عام ٢٠١٨ وبرلين عام ٢٠٢٢ تحت شعار «ثورتنا تحرّر الحياة»[١٨]، كما نوقش المقترح في منتديات إقليميّة مثل مؤتمرات نساء الشّرق الأوسط، وشمال إفريقيا، الّتي عُقدت في ديار بكر (آمد) عام ٢٠١٣ ،وفي بيروت عام ٢٠٢١، وتمّت الموافقة عليه في السّليمانيّة عام ٢٠٢٥. ومنذ ذلك الحين، يجري بناء شبكات متينة من التَّضامن النِّسائيّ الدّوليّ خطوة بخطوة. وخلال عمليّات النّقاش، ظهر إجماع على أن تنظيماً نسائيًّاً كونفدراليّاً مستقلّاً قائماً على فلسفة «جين، جيان، آزادي» يوفّر خيار خوض نضالٍ فعّال ضدّ الإيديولوجيّات والأنظمة الأبويّة والفاشيَّة من خلال التَّنظيم المشترك للمبادرات المحلّيّة المتنوّعة، والشَّبكات الإقليميّة للنّساء.

١٨ https://womenweavingfuture.org

الكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة ـ أمميّة القرن الحادي والعشرين:

تشكّل التَّجارب الغنيّة لنضال الحرّيَّة، وحركة المرأة في كردستان أيضاً منظورات مهمّة لتحقيق الاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة، والأُمَمِيَّة في القرن الحادي والعشرين، كما أنّ تحليلات السَّيِّد عبد الله أوجلان لأسباب انهيار الاشتراكيّة المشيّدة مهمّة لإعادة النَّظر في الأُمَمِيَّة. فبينما يحلّل الدّولة القوميّة، والتّصنيع، والرَّأسماليّة باعتبارها ثلاث ركائز للحداثة الرَّأسماليّة، يقترح الكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة للأمم الدّيمقراطيَّة، والاقتصاد البيئيّ الجماعيّ، والمجتمع الدّيمقراطيّ كبدائل.

لقد أدركت رفيقتنا الأُمَمِيَّة الشّهيدة نودم (أوتا شنايدر بانجر) في مارس ٢٠٠٥ أنّ الاتّحاد الدّيمقراطيّ للشّعوب يقدّم «مخرجاً من المأزق»، كما كتبت في مقال:

«إنّ جوهر الأفكار الجديدة الّتي يحلّلها السَّيِّد عبد الله أوجلان من جميع جوانبها ويطوّرها باستمرار في كتاباته الدِّفاعيَّة الّتي كتبها في عزلة تامّة، يقوم على تعزيز ما يسمّى بالخطّ الثَّالث، أي: تنظيم المجتمع في جميع مجالات الحياة. ويهدف هذا الشَّكل من الدّيمقراطيَّة الشَّعبيَّة إلى تمكين الشَّعب من أن يصبح فاعلاً اجتماعيَّاً، وسياسيَّاً مع ازدياد التَّنظيم والوعي، وأن يتولَّى الوظائف الأساسيَّة للدَّولة الّتي يُفترض أنّها تتمتّع بكل السُّلطة. وكثقلٍ لموازين القوى المهيمنة في الشّرق الأوسط يقترح السَّيِّد عبد الله أوجلان تشكيل اتّحاد

للشُّعوب يكون مستقلّاً عن الدّولة، والحكومة. إنّ إعادة تعريف الأُمَمِيَّة هذه مع الأخذ في الاعتبار الواقع الاجتماعيّ، وتاريخ الشّرق الأوسط لها قوَّة سياسيَّة هائلة متفجِّرة يمكن أن تكون لها آثار عالميّة.»[١٩]

تعكس تجارب الأمميّات الثَّلاث أوجه القصور الأساسيَّة في نظريّة وممارسة الاشتراكيّة المشيّدة. ولتوضيح ذلك يمكننا تسليط الضَّوء على أربع نقاط أساسيَّة للتَّنظيم الأمميّ، وتحقيق الاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة في القرن الحادي والعشرين:

١- يُعدّ التّحليل التَّاريخيّ، والاجتماعيّ للتّناقض بين الجنسين، باعتباره سبباً وحلّاً لجميع علاقات القوَّة، ذا أهمّيَّة بالغة للتَّغلّب عليها، حيث استند النَّهج الماركسيّ للأمميّات الثَّلاث على إعلان التَّناقض الطَّبقيّ بين العمل المأجور ورأس المال على أنّه التّناقض الرَّئيسي، وأنّ القمع الأبويّ للمرأة قضيّة ثانويّة أو «جانبيّة»؛ لذا فشل هذا النّهج في إدراك أنّ إخضاع المرأة، واستغلالها، الّذي تماشى تاريخيّاً منذ القديم وإلى اليوم مع تدمير البنى الاجتماعيَّة الجماعيّة، هو الخليّة الجذعيّة لجميع أشكال الهيمنة. وطالما لم يتمّ نقد العقليَّة الأبويّة، والمؤسّسات القائمة عليها، أي الأسرة، والدُّوليَّة، وتحويلها بشكل جذريّ، فلن يحدث التَّغيير الدّيمقراطيّ من خلال المشاركة المتساوية للمرأة في السِّياسة، والمنظَّمات وحدها

يؤكّد حلّ الأمميّات الثَّلاث الأطروحات الّتي صاغها السَّيِّد عبد الله أوجلان: «لا يمكن تحقيق الاشتراكيّة إلّا من خلال تحرير المرأة. لا يمكن أن يكون المرء اشتراكيّاً دون الاعتراف بحرّيَّة المرأة. لا يمكن أن تكون هناك اشتراكيّة. لا يمكن السَّعي نحو الاشتراكيّة دون ديمقراطيّة.»[٢٠]

في حين تمّ تطوير التَّمييز الجنسويّ، وعولمته كإيديولوجيّة لتقسيم النّساء، والمجتمعات، فإنّ إيديولوجيّة تحرير المرأة لديها القدرة على إعادة التَّفكير بشكل جماعيّ في أساليب الحياة، والعلاقات الأُمَمِيَّة، والاشتراكيّة، وإعادة تصميمها من خلال عمليَّات تحقيق الذَّات، والتَّنظيم بين النّساء في كلّ مكان في العالم.

---

١٩ أوتا شنايدربانجر: الخروج من المعضلة: الاتّحاد الديمقراطيّ للشعوب - رحلة مراقبة نسائيَّة عبر تركيا والاتّحاد الأوروبي وبقية العالم، نشرة سيني، العدد ٩، ١٠ مارس ٢٠٠٥.

٢٠ اقتباس من رسالة السَّيِّد عبد الله أوجلان في ٨ مارس ٢٠٢٥: «الاجتماعيَّة هي أساس المرأة. يجب أن تكون المرأة اجتماعيَّة. يجب أن تكون الاشتراكيّة أساس الدّيمقراطيَّة.»

٢- يمنحنا مفهوم الحداثة الدّيمقراطيَّة القدرة على مناقشة التَّناقضات الإيديولوجيّة بشكل بنّاء، وعلى الاستفادة من إمكانات المناهج المختلفة لبناء الاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة.

لقد كان أحد الأسباب الرّئيسيّة لفشل الأمميّات الثَّلاث هو عجز القوى المناهضة للنِّظام عن تطوير طريقة مثمرة للتَّعامل مع الاختلافات الإيديولوجيّة، وثقافة ديمقراطيّة للنّقاش. فعلى الرّغم من أنّ رفض الهيمنة، والبحث عن الحرّيَّة، والبدائل كانا مسعيان مشتركان للمنظّمات الاشتراكيّة، والشّيوعيّة، والأناركيّة، والنّسويَّة، والبيئيّة، فضلاً عن حركات التَّحرُّر المدنيّ، والدّينيّ، والثَّقافيّ، والوطنيّ الدّيمقراطيَّة المتنوّعة، إلّا أنّ هذه الحركات غالباً ما استثمرت طاقةً أكبر في التّنافس فيما بينها بدلاً من النِّضال المشترك ضدّ النِّظام القمعيّ.

يقدّم مفهوم الحداثة الدّيمقراطيَّة الّذي طوّره السَّيِّد عبد الله أوجلان منهجاً بديلاً يقوم على تقييم نقديّ، وذاتيّ لأخطاء، وإنجازات، وإمكانات الحرّيَّة لمختلف، وجهات النَّظر الإيديولوجيّة بدلاً من التَّركيز على تصنيف محدَّد، يحلّل نظريّة، وممارسة الحركات المختلفة، ويتساءل عن مدى إسهامها في تحقيق مزاعمها بتحرير الشّعوب، والمجتمع. تعتمد منهجيّته على التَّشكيك في النَّظريات المختلفة بناءً على ممارساتها. من جهة يؤكّد على ضرورة الحفاظ على الوحدة الأخلاقيّة للأهداف، والوسائل الثَّوريّة، ومن جهة أخرى يشرح بالتَّفصيل لماذا لم تتمكّن الحركات النَّقديّة للنِّظام، بمختلف أشكالها، من تجنب الانجراف نحو المسار الليبراليّ للحداثة الرَّأسماليّة؟ يتيح هذا المنهج، القائم على التَّفكير النَّقدي والنَّقد الذَّاتيّ المفتوح، فرصة التَّعرّف على مختلف مناهج التَّفكير النَّقدي للنِّظام، وإنجازاتها، وأخطائها، وعقباتها على المستويين المحلّيّ والدّوليّ. وإنّ ثقافة الحوار الدّيمقراطيَّة هذه، الّتي ننظر فيها إلى بعضنا كرفاق على درب هدفٍ مشترك تتيح لنا تركيز جهودنا، وتوحيد قوانا لبناء مجتمعات حرَّة، وديمقراطيّة، تربطها روابط التّعاون، والتَّضامن.

٣- تمثل الأمَّة الدّيمقراطيَّة فلسفة، واستراتيجيّة، فضلاً عن كونها نموذجاً للحلّ. إنّها بديل عن النّهج الفاشل للأمميّات الثَّلاث، الّتي نصَّت على أنّ الرَّأسماليّة ستُلغى من خلال استيلاء الطَّبقات المستغلّة على السُّلطة، وأن الأمم المضطهدة ستتحرّر من خلال إنشاء دولة قوميّة مستقلّة. لقد كان

الخطأ الجوهري هو افتراض أنّ التَّطوّرات الاجتماعيَّة ستتبع «قوانين طبيعيَّة» تؤدّي إلى تقدّمٍ مطّرد. وفشل هذا النَّهج في إدراك أنّ الدّول القوميّة هي مكوّنات جوهريّة للحداثة الرَّأسماليّة، وأنّ البؤس الّذي تولّده الرَّأسماليّة لا يؤدّي بالضّرورة إلى ثورة اشتراكيّة، علاوة على ذلك، بُنيت الدّول القوميّة على أساس إيديولوجيّات قوميّة لممارسة الحكم الأبويّ، والاستعماريّ، لذلك، فهي تتعارض مع هدف بناء مجتمع اشتراكيّ.

يمكن تحويل عمال جميع البلدان، الّذين أعمتهم الدّعاية القوميّة، وأوقعتهم الفقر في التَّبعيَّة، إلى جنود لدول قوميّة متنافسة، وإرسالهم إلى الحرب من أجل أرباح الرَّأسماليّة. حتَّى تحقيق دولة قوميّة مستقلَّة، والّذي صيغ كهدف لنضالات التَّحرُّر من الاستعمار، لم يمنع نخب السُّلطة الجديدة من استبدال الحكام الاستعماريّين السّابقين، وقد ظلّت غالبيّة المجتمع، وخاصَّة النّساء، مستبعدة من النِّقاش السّياسيّ، وعمليّات صنع القرار، وتعرّضت الثَّقافات، وأشكال التَّنظيم الأصليّة للتَّمييز، والاستيعاب، والمحاربة باعتبارها «متخلفة».

يُعدّ مفهوم الأمَّة الدّيمقراطيَّة، الّذي طوره السَّيّد عبد الله أوجلان وطُبّق في الإدارة الذَّاتيّة الدّيمقراطيَّة لشمال وشرق سوريا بديلاً عن الدّولة القوميّة. وهو يقوم على نموذج الدّيمقراطيَّة المباشرة، والحكم الذَّاتيّ الكونفدرالي للمجتمع، ما يمنع استبدال نخبة حاكمة قديمة بأخرى جديدة. كما يُسهم هذا المفهوم في الحدّ من النّزعات القوميّة، والصِّراعات الطَّائفية، وذلك من خلال تنظيم مختلف الطّوائف الثَّقافيّة، والعرقيّة، والدّينيّة، والحركات الاجتماعيَّة، استناداً إلى المبادئ والتّقاليد الدّيمقراطيَّة، لأنفسها بشكلٍ مستقلّ، وجماعيّ، ما يُسهم في تشكيل الحياة الاجتماعيَّة والسّياسيّة معاً. ويبدأ هذا بتنظيم الكومينات على المستوى المحلّيّ، والّتي ترتبط فيما بينها، وتتعاون إقليميّاً، ودوليّاً في مجالس شعبيَّة. ويشمل «الاتّحاد العالميّ للأمم الدّيمقراطيَّة»، الّذي يقترحه السَّيّد عبد الله أوجلان كبديل للأمم المتَّحدة، خياراً لجميع الطّوائف العرقيّة والثَّقافيّة والدّينيّة والاجتماعيَّة لتنظيم نفسها بهوياتها الخاصَّة على المستويات المحلّيّة والإقليميَّة، والقارّيّة، والعالميّة، مع تشكيل هياكل كونفدراليَّة ديمقراطيّة مشتركة على هذه المستويات.

في هذا السّياق، تلعب المنظَّمات النِّسائيّة المستقلَّة والمتعدّدة الأديان، والثَّقافات دوراً استراتيجيّاً. فمن ناحية، توفّر هذه المنظَّمات أساساً للنِّساء للتَّوحّد في نضالهن ضدّ المواقف الأبويّة والعنف، ممّا يجعل جهودهن أكثر فعاليّة، ومن ناحية أخرى، يوحّد تعاون النّساء، واهتماماتهن

المشتركة الحيويّة المجتمعات الثَّقافيّة، والدّينيّة، والاجتماعيَّة المتنوّعة الّتي تشكّل أيضاً جزءاً من الهويَّة الاجتماعيَّة للمرأة، ووجودها. ومن خلال إدراك تراثهن التَّاريخيّ المشترك القائم على قيم، وحكمة المجتمعات الأموميّة في جميع أنحاء العالم. ويمكن للنِّساء أيضاً إيجاد حلول إبداعيّة للعديد من المشكلات الاجتماعيَّة الحاليّة النَّاجمة عن الحكم الأبويّ. والاستعماريّ.

هذا يُضفي على مفهوم الأُمَمِيَّة بُعداً جديداً، فلم يعد يجسّد مجرَّد تجمّع للعمال من جميع البلدان، أو تضامناً بين مختلف الأحزاب والحركات الوطنيّة، بل أصبحت الأُمَمِيَّة عقليَّة وتعبيراً عن حياة جماعيّة قائمة على التَّضامن، واتّحاداً كونفدراليَّاً للكومينات الدّيمقراطيَّة الّتي تنظّم وتتفاعل مع بعضها البعض كدول ديمقراطيّة على المستويين الإقليميّ والعالميّ، متجاوزةً الدّول القوميّة. ويجب قياس الطَّابع الاشتراكيّ للكومينات، واتّحاداتها بمدى مساهمتها في تحقيق حياة جماعيّة حرَّة للنّساء، والرِّجال، وسياسات ديمقراطيّة، فضلاً عن اقتصادات جماعيّة، وبيئيّة.

٤- يتطلّب كلّ من هدف الاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة، والطَّريق إلى تحقيقها هياكل تنظيميّة محليَّة، وإقليميّة، ودوليّة قائمة على المبادئ الدّيمقراطيَّة والتَّضامن المتبادل، والتّعاون المستمرّ، ويُظهر فشل الكومنترن على وجه الخصوص أنّ النّماذج التَّنظيميَّة الهرميّة للدَّولة القائمة على المركزيَّة القويّة، والبيروقراطيّة ليست مناسبة لفهم الظّروف، والمتطلّبات المحدَّدة للعمليّات الثَّوريّة في مختلف أنحاء العالم بطريقة عادلة وتكامليّة. وبدلاً من ذلك، فإنّ التّحالفات الدُّوليَّة للقوى، والمجتمعات الدّيمقراطيَّة، فضلاً عن النّماذج التَّنظيميَّة الكونفدراليَّة الأفقيّة القائمة على التَّنسيق الدّوليّ، والمسؤوليَّة الجماعيّة تجسّد روح الأُمَمِيَّة بشكلٍ أكبر. ويجب تصميم هذه الهياكل التَّنظيميَّة الدُّوليَّة لتمثيل، وتعزيز الإرادة الدّيمقراطيَّة للمنظَّمات المجتمعيّة المحلّيّة، والإقليميّة.

وعلى جميع المستويات يُعدّ التَّنظيم النِّسائيّ المستقل ذو الطّابع الدّوليّ، ومشاركة المرأة في جميع مجالات الحياة والعمل، وتمثيل إرادتها الجماعيّة في عمليّات صنع القرار، وهيئاته أمراً لا غنى عنه. إلى جانب نموذج الرّئاسة المشتركة، تُوفّر هذه المبادئ أساساً متيناً لنضال فعّال ضدّ العقليات الأبويّة، والتّمييز الجنسويّ في الهياكل التَّنظيميَّة، والاجتماعيَّة. وبهذه الطَّريقة، تستطيع المرأة تطوير مواقف مشتركة على المستوى الدّوليّ، والتّعبير عن احتياجاتها الخاصَّة، والمشاركة في تحدّيد الأجندة العامّة.

ومع ذلك، فإنّ الأداء الدّيمقراطيّ ليس مجرَّد مسألة هيكل تنظيميّ، بل يتطلّب الأمر قبل كلّ شيء أن يحرّر جميع الأفراد، والمجتمعات المعنيّة أنفسهم من أنماط التَّفكير، والسّلوك الأبويّة، والهرميّة للدّولة المتأصّلة، وأن يعيشوا وفقاً للقيم الاشتراكيّة. إنّ «الأُمَمِيَّة الجماعيّة الأولى» الّتي اقترحها السَّيِّد عبد الله أوجلان في «مانيفستو السَّلام، والمجتمع الدّيمقراطيّ» في عام ٢٠٢٥، تستند إلى تطبيق شامل لنموذجه الدّيمقراطيّ البيئيّ القائم على تحرير المرأة، وهذا يشمل ترسيخ ثقافة ديمقراطيّة قائمة على الاحترام، والتّقدير المتبادلين في جميع علاقاتنا السّياسيّة، والاجتماعيَّة، والشّخصيّة.

نسج شبكات الكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة النِّسائيّة العالميّة

يعبّر مفهوم الكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة النِّسائيّة العالميّة عن كلٍّ من الهدف، والمسار لإعادة التفكير في تنظيم المرأة الأمميّ وإعادة تشكيله، وديمومته في القرن الحادي والعشرين – محلّياً، وإقليميّاً، وعالميّاً. ويمكن للأمميّة النِّسائيّة أن تلعب دوراً مهمّاً في ربط مختلف تيّارات، وحركات الحداثة الدّيمقراطيَّة، مثل حركات العمَّال، والمجرَّدين من الأراضي، والشّباب، والبيئيّة، والدّيمقراطيَّة، والسَّلام، فضلاً عن المجتمعات الدّينيّة والثَّقافيّة. وفي هذه العمليّة يمكن تطوير تحليلات تاريخيَّة مشتركة للمجتمع، والبرامج، والمبادئ، والهياكل لتنسيق الإجراءات الّتي تشكّل السّياسة، والحياة الاجتماعيَّة خارج نطاق الدّولة. ويشمل ذلك أيضاً بناء الوعي بهياكل الدِّفاع الذَّاتيّ. ومع ذلك يجب ألّا تقتصر الجهود على الدِّفاع ضدّ هجمات النِّظام، بل من المهم بناء نماذج اشتراكيّة ديمقراطيّة للحياة، والمجتمع بشكلٍ جماعيّ تحترم الإرادة المستقلَّة للنّساء، وجميع الفئات الاجتماعيَّة، دون اللجوء إلى أدوات وأساليب الطَّبقة الحاكمة.

لقد علّمتنا تجارب النّساء في الثَّورات، ونضالات التَّحرير في جميع أنحاء العالم أنّه لا يمكن تحقيق الاشتراكيّة دون اتّباع نهج برنامجيّ، واستراتيجيّ لتحرير المرأة. توفّر لنا أساليب علم المرأة أدوات للتّعلّم من تاريخنا، وقصص حياتنا، ولتحليل التّطوّرات الاجتماعيَّة والسّياسيّة، ولتطوير المعرفة المفيدة، والوصول إليها لبناء الكونفدراليَّة الدّيمقراطيَّة النِّسائيّة العالميّة. ويشمل ذلك معرفة النّساء الحكيمات من التَّاريخ والحاضر، والنَّظريات النّسويَّة، ومقاومة المرأة، والفلسفات الشَّاملة للحياة مثل «العيش الكريم» للشّعوب الأصليّة في أبيا يالا، بالإضافة إلى إيديولوجيّة السَّيِّد عبد الله أوجلان لتحرير المرأة، والتّحليلات الاجتماعيَّة، والتَّاريخيّة. لقد أصبحنا ندرك أنّ تنظيم المرأة المستقلّ القائم على إيديولوجيّة تحرير المرأة يمكن أن يُحدث عمليّات تحوّل ديمقراطيّ بعيدة المدى في كلّ من الثَّقافة السّياسيّة، والمجتمع. وإنّ الالتزام المشترك، والوعي لدى النّساء أمرٌ بالغ الأهمّيَّة لإرساء ثقافة ديمقراطيّة، وأساليب موجّهة نحو الحلول، وطريقة عمل جماعيّة موجهة نحو احتياجات المرأة، والمجتمع ككلّ.

يبدأ التَّحوّل الاجتماعيّ بتطوير مبادئ ومعايير أخلاقيّة مشتركة للحرّيَّة، وفي هذا السّياق، تلعب الحوارات الاجتماعيَّة، والتَّعليم والبحث، ضمن إطار علم المرأة، دوراً هامّاً في رفع الوعي بجذور، ومظاهر العنف الأبويّ، وإيقاظ الرّغبة، والإرادة للتَّغيير (بما في ذلك لدى الرّجال). ومن خلال التَّشكيك في المسلّمات، والتَّصنيفات، و»الحقائق» السَّائدة، نبدأ معاً في بناء فهم جديد للأخلاق، والجمال، والعدالة. ونتيجة لذلك، تكتسب النّساء من جميع الأعمار شجاعة متزايدة للاستفسار عن الآراء، والتقاليد الأبويّة في الأسرة، والمجتمع، وللتَّعبير عن إرادتهن، والشّروع في مسارات جديدة في

الحياة، حيث تُظهر لنا تجارب حركة حرّيَّة المرأة في كردستان أنّ التّطورات الفكريّة والعمليّة مترابطة ومتكاملة. ومن خلال إدراك الأسس الثّقافيّة، والتّاريخيّة للكونفدراليّة الدّيمقراطيَّة، يُمكننا النّجاح في إحياء وتطوير التّقاليد الاجتماعيَّة الدّيمقراطيَّة القائمة.

لهذا السّبب، تُعنى أعمال جينولوجيا بالبحث عن آثار ثقافة إلهة الأمّ وأشكال المجتمع البيئيّة القائمة على التّضامن في التّاريخ، وفي الوقت الحاضر، وتشمل هذه، على سبيل المثال، تقليد الأرض المشتركة في أوروبّا وثقافة تقديم الهدايا الّتي لا تزال تلعب دوراً مهمّاً في مجتمعات الشّرق الأوسط. إنّ العطاء دون توقع أي مقابل والشّعور بالفرح عند القيام بذلك هو تقليد للتّضامن يتناقض مع المفاهيم الرَّأسماليّة للملكيَّة، والاستهلاك. وهناك العديد من الأمثلة مثل مجالس العدالة النِّسائيّة في روج آفا، أو مناهج العدالة التّحويليّة الممارسة في مختلف الجماعات في الولايات المتَّحدة، والهند، وإندونيسيا تشير إلى أنّ المجتمع، وليس الدّولة هو الّذي ينظّم، ويدير حياتهم.

ويتّضح هذا أيضاً في الطَّريقة الّتي لا تزال تُنظَّم بها الحياة اليوم في العديد من المجتمعات العشائريّة، والقرى حول العالم. فمشاركة الفرح، والألم وضروريّات الحياة، والرّعاية الجماعيّة للأطفال، والمرضى، والفقراء في الحي، والمساعدة المتبادلة، أو الأداء المشترك للأعمال المنزليّة، والزّراعيَّة، تُفهم على أنّها مهام طبيعيّة وجماعيّة، وتتناقض هذه الثَّقافة الاجتماعيَّة، الّتي تُقدِّر الحياة والنّاس، مع خدمات الدّولة الاجتماعيَّة، ودور رعاية المسنّين، ودور التَّمريض، حيث يُعاق النَّاس ويُحبسون، ويُجعلون، وظيفيّين فقط.

في معسكرات جينولوجيا، وعمليّات التَّعليم الجماعيّ في روج آفا رأينا أنّ عمليّات التّعلّم الفعليّة تسير جنباً إلى جنب مع تنظيم الحياة الجماعيّة، والتّبادل الثّقافيّ، والإبداع الفني، وإيجاد لغة مشتركة؛ حيث تُعد عمليّة المناقشة وصنع القرار الجماعيّ الّذي يرى كلّ فرد نفسه مسؤولاً عن تنفيذ القرارات، ويتصرّف وفقاً لذلك معياراً مهمّاً لثقافة الاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة.

إنّ «القوَّة السّياسيّة الهائلة المتفجّرة» لإعادة تعريف السَّيِّد عبد الله أوجلان للأمميّة، والّتي تنبَّأت بها الشّهيدة نودم (أوتا شنايدربانجر) قبل ٢٠ عاماً تتَّخذ شكلاً ملموساً أكثر فأكثر. فقد فتحت دعوة السَّيِّد عبد الله أوجلان للسَّلام، والمجتمع الدّيمقراطيّ مسارات جديدة لنا لنسج خيوط ثورة المرأة، والأُمَمِيَّة في القرن الحاديّ والعشرين في خيوطٍ أقوى لشبكات جديدة إبداعيّة ودائمة، من أجل بناء أمميّة جماعيّة، وتنظيم الحداثة الدّيمقراطيَّة على المستوى الدّوليّ.

حول أكاديميَّة الحداثة الدّيمقراطيَّة:

بصفتنا أكاديميَّة الحداثة الدّيمقراطيَّة، نسعى جاهدين لنشر أفكار، وتجربة حركة حرّيَّة كردستان الغنيّة، ونموذجها للحداثة الدّيمقراطيَّة. تهدف منشوراتنا إلى بدء حوارات مشتركة مع النّشطاء، والأكاديميّين، ومختلف الحركات المناهضة للنِّظام، والحركات الاجتماعيَّة من أجل المضي قُدُماً في بحثنا عن بدائل جذريّة للحداثة الرَّأسماليّة، وتحقيق حياة حرَّة. من خلال عملنا التّعليميّ، نريد خلق فهم جديد للسّياسة الدّيمقراطيَّة، والتَّنوير الاجتماعيّ، ووعي سياسيّ أخلاقيّ جديد.

نتناول قضايا اجتماعيَّة مثل: الاستقلال الذَّاتيّ الدّيمقراطيّ، وتداخل خطوط المقاومة، وعلم اجتماع الحرّيَّة، وتحرير المرأة، واستقلال الشّباب، والبيئة الاجتماعيَّة، والاقتصاد الجماعيّ، والفن، والثَّقافة. من خلال تطوير المنصّات والشَّبكات، نهدف إلى المساهمة في تعزيز التّبادل الدّوليّ للخبرات، ودمج النِّضالات القائمة في سياق الكونفدراليَّة العالميّة الدّيمقراطيَّة. يتطلّب التَّغلُّب على الحداثة الرَّأسماليّة بدائل مؤسسيّة محليَّة، وعالميّة ملموسة إذا نجحنا في توسيع نطاق السِّياسة الدّيمقراطيَّة في الحياة اليوميّة من خلال التَّحالفات، والمجالس، والكومينات، والتّعاونيّات، والأكاديميّات، فإنّ القوَّة السّياسيّة الهائلة للمجتمع ستتكشّف، وتُستخدم لحلّ المشكلات الاجتماعيَّة. وبهذا المعنى نرى أنشطتنا مساهمة في تطوّر الحداثة الدّيمقراطيَّة، والاشتراكيّة الدّيمقراطيَّة.

دعونا نعمل معاً لتحقيق رؤانا، ومدننا الفاضلة. عالم آخر ليس ممكنًا فحسب، بل هو ضروريّ للغاية في ظلّ الوضع العالميّ الرَّاهن. فلنبدأ معاً في بناء عالمنا المستقبليّ في الحاضر، لأنَّ الانتظار سيكون جنونًا.

يمكنكم العثور على مزيد من المعلومات باللغات الإنجليزيَّة، والإسبانيَّة، والإيطاليّة، والألمانيّة، والفرنسيَّة هنا:

https//:democraticmodernity.com